الحُوت في القرآن الكريم
آيةٌ وطعامٌ لموسى عليه السلام
وظُلْمةٌ وسجنٌ ليونس عليه السلام وابتلاءٌ لأصحابِ السبت

الباحث/ خالد بن محمد الوذيناني

المقدمة

الحمد لله الذي لم يُسْتَفتَح بأفضل مِنْ اسمه كلام، ولم يُسْتَنْجَح بأحسن مِنْ صُنعه مَرام، حمدًا لا انقطاع لراتبه، ولا إقلاع لسحائبه، حمدًا يَستنزلُ الرحمة، ويَستكشفُ الغُمَّة، ويبلغُ الحقَّ ويقتصيه، ويمتري المزيد ويقتضيه. ثم الصلاة على سيد الأنام ؛ محمد بن عبد الله، خيرِ مَنْ افتُتحت بذكره الدعوات، أفضل نبيٍ مبعوث، وأفضلِ وارثٍ مَوروث، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد:

فإنّ القرآنَ حَبْلُ الله الممدود، وعهده المعهود، وظلُّه العميم، وصِرَاطُه المُستقيم، وحُجَّتُه الكُبرى، هو الواضح سبيلُهُ، الراشدُ دليلُهُ، مَنْ استضاء بمصابيحه أبْصَرَ ونَجَا، ومَنْ أعْرَضَ عنها زلَّ وَهَوى.

هو حُجَّةُ الله وعهدُه، ووعده ووعيدُه، بشير الثواب، ونذير العقاب، وشفاء الصدور، حبل الله المتين، ونوره المبين، هو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب منه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَملّه الأتقياء، ولا يَخْلَق من كثرة الرد، لا تنقضي عجائبه، لم يسع الجنّ حين سمعوه إلا أن قالوا: (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) [1].

هو أحسنُ الحديث (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا) [2]، هو الفصل ليس بالهزل، مَنْ ابتغى الهُدى في غيره أضله الله، مَنْ قال به صدق، ومَنْ حَكَمَ به عَدَل، ومَنْ عَمل به أُجِر، ومَنْ دَعَا إليه هُدي الى صراط مستقيم.

---

(1) سورة الجن، الآية: ١-٢.

(2) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

هو أحسن القصص (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ)[1].

نَزَلَ به الروحُ الأمين، على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ليكون من المُنْذِرين، بلسان عربي مبين.

أنزله الله تعالى وتَعَهد بحفظه (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [2].

كما تعهد بجمعه وقرآنه وبيانه (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) [3].

وقد ذكر الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم العنكبوت، والذّرّ، والنّمل، والكلب، والحمار، والنّحل، والهدهد، والغراب، والذئب، والفيل والخيل، والبغال، والحمير، والبقر، والبعوض، والمعز، والضأن، والبقرة، والنعجة، والحوت، والنّون[4].

وقبل أن يهتم العلم الحديث بالحيوان، ويخصص له الدراسات المستقلة، كان القرآن الكريم قد سبق بالدعوة إلى دراسته، وتوجيه النظر إلى ملاحظته، ومتابعته، ومراقبته، وتأمل حياته، للوقوف على بعض أسرار معيشته، وما يتاح للإنسان من بدائع حياته.

وإلى جانب هذا دعا الرسول الكريم إلى الرفق بالحيوان وحمايته من ظلم الإنسان، والشفقة عليه، وإطعامه مُتوعّدا مَنْ يعذبه أو يحبسه دون إطعام بعذاب النار[5].

ولا عجب؛ فإنَّ الرفق بصفة عامة مبدأ إسلامى، وحسبنا فى هذا الصدد ما جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»[6].

ومما يشير إلى اهتمام القرآن بعالم الحيوان أنه أطلق أسماء بعض أصنافه على بعض سوره الشريفة، فأُولى سور القرآن بعد الفاتحة هى «سورة البقرة».

---

(1) سورة يوسف، الآية: ٣.

(2) سورة الحجر، الآية: ٩.

(3) سورة القيامة، الآية: ١٧-١٩.

(4) انظر: الحيوان (٤/ ٢٧٨)، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ.

(5) كما روى البخاري في صحيحه (٣/ ١١٢، ح ٢٣٦٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ» قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهُ أَعْلَمُ: «لاَ أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلاَ سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا، وَلاَ أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا، فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ»، وانظر: موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي (ص: ٥)، المؤلف: عبد اللطيف عاشور، الناشر والطبعة: بدون.

(6) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٢، ح ٦٠٢٤)، (٩/ ١٦، ح ٦٩٢٧)، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٦، ح ١٠ - (٢١٦٥)، (٤/ ٢٠٠٣، ح ٧٧ - (٢٥٩٣).

وهناك «سورة الأنعام»، و«سورة النحل»، و«سورة النمل»، و«سورة العنكبوت»، و«سورة العاديات»، و«سورة الفيل».

وقد تكرر ذكر كلمة «الدابة» ومشتقاتها «دواب، الدواب» فى القرآن الكريم فى تسعة عشر موضعًا، وذُكرت «الحيوانات» بأسماء أصنافها، وتكرر ذكر «الطير» عشرين مرة فى القرآن الكريم، وذكر بعض أنواع من الطير مثل: «الغراب»، و«الهدهد».

وذكر من الحشرات والزواحف: «النمل»، و«الذباب»، و«الجراد»، و«الثعبان»، و«العنكبوت»، و«القمل»، و«الضفادع»، و«الحية»، و«النحل»[1].

وانطلاقاً من هذا المبدأ استعنت بالله تعالى في كتابة هذا البحث عن (الحوت في القرآن الكريم)، لنعيش معه حينما كان ابتلاءً وسجنًا وظُلْمَةً لنبي الله يونس عليه السلام، ولمَّا كان طعامًا وآية ودليلاً لنبي الله موسى عليه السلام في رحلته للخضر، وحين كان ابتلاءً لأصحاب القرية الذين لم يمتثلوا لأمر الله تعالى بتحريم الصيد في يوم السبت.

مُعتذرًا عن النقص والزلل، وسائلاً الله تعالى التوفيق والسداد والبُعد عن الخلل.

خطة البحث

القسم الأول، ويشتمل على

- المقدمة.
- أهمية الموضوع.
- أهداف البحث.
- مشكلة البحث.
- منهج البحث.
- الدراسات السابقة.

القسم الثاني، ويشتمل على

- المبحث الأول: ما هو الحوت ؟.

المطلب الأول: تعريف الحوت.

المطلب الثاني: أسماء الحوت.

المطلب الثالث: خواص الحوت وطبائعه وأنواعه.

([1]) انظر: موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي (ص: ٨).

المطلب الرابع: الفرق بين الحوت والسمك، والراجح من ذلك.
المطلب الخامس: حكمه الشرعي.
المطلب السادس: عبادة الحوت لله تعالى.

- المبحث الثاني: الحوت في القرآن الكريم (طعامٌ لموسى، وظُلْمَةٌ ليونس):
المطلب الأول: قصة الحوت مع يونس عليه السلام.
المطلب الثاني: قصة الحوت مع موسى عليه السلام.
المطلب الثالث: قصة الحوت مع أصحاب السبت.
المطلب الرابع: امتنان الله تعالى أنْ جعل الحوت غذاءً لبني آدم ويسر لهم أكله.
- المبحث الثالث: الحوت في الأحاديث النبوية.
- المبحث الرابع: الحوت في الشعر والمثل العربي.
- المبحث الخامس: العبر والدروس من هذه القصص.
- الخاتمة.

القسم الأول

أهمية الموضوع

١) أنَّ الله تعالى قد ذكر «الحوت» في القرآن الكريم خمس مرات، وهذا الأمر يَدُل على أهميته فى حياة الإنسان؛ الذى نَزَلَ مِنْ أجل هدايته القرآن.

٢) أنَّ هلاك الحيتان والقضاء عليها من الفساد في البحر، كما جاء في تفسير قوله تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [١]: وفساد البحر يظهر في تعطيل منافعه مِنْ قِلَّةِ الحيتان واللؤلؤ والمرجان، فقد كانا مِنْ أعظم موارد بلاد العرب[٢].

٣) أنَّ أبواب الفقه الإسلامي قد اشتملت على أحكامه، فهو كسائر الحيوان الذي أفرد الفقهاء له أبوابًا في كتبهم.

٤) أنَّ «زيادة كبد الحوت» أول طعام أهل الجنة حينما يدخلونها، كما سيأتي في موضعه.

٥) ويكفى الحوت شرفاً أنَّه كان نعم الوعاء والمسكن لنبى الله يونس عليه السلام.

٦) تسمية نبي من الأنبياء وهو يونس عليه السلام بذي النون (أي: صاحب الحوت).

٧) أنّ الحوت علامة بارزة في قصة موسى مع الخضر، وقصة أصحاب السبت.

٨) أنَّ الحوت من أضخم المخلوقات.

٩) أنَّ الله تعالى قد امتن على عباده بأنْ جعل الحوت لحمًا طريًا ويسر لهم أكله.

١٠) فتح الباب أمام الباحثين والدارسين لملاحظة أهمية إشارات القرآن الكريم، وتنوع طرائق المعرفة فيه.

أهداف البحث

١) التعريف ببعض قصص القرآن الكريم، وأخذ العبرة منها، كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٣].

٢) التنبيه إلى أهمية التوحيد وذكر الله تعالى، وأنهما سبب النجاة من المهالك كما في قصة يونس عليه السلام.

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤١.

(٢) انظر: التحرير والتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» (٢١/ ١١٠)، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م.

(٣) سورة هود، الآية: ١٢٠.

٣) التنبيه إلى أهمية أنْ يتزود طالب العلم بما يعينه على الرحلة في طلب العلم من متاع الدنيا والطعام والشراب، وأن يتحمل المشاق التي تواجهه في هذا الطريق كما في قصة موسى عليه السلام.
٤) أنَّ كثيرًا مِنَ المخلوقات التي تعيش في هذا الكون قد خَصَّها الله تعالى ببعض المزايا، فينبغي أنْ ينظر الإنسان حوله بعين الاعتبار لهذه المخلوقات.
٥) التنبيه إلى أهمية شكر الله تعالى على تسخير هذه المخلوقات لخدمة الإنسان.
٦) أنْ يتحلى الإنسان بالرأفة والرحمة واللين في معاملة هذه المخلوقات.
٧) الرغبة في تقديم بحثًا علميًا يقدم فكرة جديدة، قد ينتفع بها طالب علم، ويكون من باب العلم الذي يُنْتفع به، وومضة في طريق المعرفة الكريم.

مشكلة البحث

من المشكلات التي واجهتني خلال إعداد هذا البحث:

١) أنَّ الأفكار الجديدة في الطرح تحتاج إلى تصورات جديدة، وعليه فإنَّ الباحث يحتاج إلى كثير من التأمل والنظر من أجل بناء البحث.
٢) ندرة المراجع التي تحدثت عن هذا الموضوع.
٣) أنَّ هذا الموضوع موجود في ثنايا الكتب منذ قديم الزمان، إلا أنه لم يكن مُستقلاً، مما حدا بي إلى البحث والتنقيب في بطون الكتب والمراجع لكي أستخرج الدرر الكامنة في هذا الموضوع، والحمد لله الذي أعان على اختياره وإتمامه.

منهج البحث

١) نسخ البحث وفق قوعد الرسم الإملائي الحديث، مع ضبط المُشكل من الكلمات بالحركات فيما قد يُشكل على القارئ في فهم العبارة.
٢) عزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها.
٣) تخريج الأحاديث النبوية، وعزوها إلى مصادرها، فإن وجد الحديث في الصحيحين فيكتفى بالعزو إليهما، وإلا تم تخريجه من كتب السنة المعتمدة.
٤) نقلتُ بعض الفوائد العلمية والفقهية والأدبية مع بعض ما يسر الله تعالى به عَلَيَّ لتكون دافعًا أقوى للفهم والتعليق.
٥) توثيق الأقول والنقولات، وكلام أهل العلم قدر الطاقة من مصادرها الأصلية، فإن لم أجد فالفرعية
٦) عزو الأبيات الشعرية لقائليها في دواوينهم، فإن لم أجد ففي كتب اللغة والمعاجم وكتب الأدب والبلاغة المختصة في هذا الشأن، مع شرح الغريب في هذه

الأبيات، والإشارة إلى الروايات المختلفة إن وُجدت.

٧) الاعتناء بالمسائل العقدية والتنبه لها إن وجدت، وكذلك المسائل الفقهية دون تعصب لمذهب معين.

٨) الترجمة لجميع الأعلام عند ذكرهم لأول مرة، عدا المشهورين منهم كالعشرة المبشرين بالجنة.

٩) التعريف بالمصطلحات والألفاظ الغريبة، مع ضبطها بالشكل.

١٠) التعريف بالأماكن والبلدان الوارد ذكرها في البحث.

١١) التعليق على ما يحتاج إلى ذلك من المسائل الواردة في البحث.

١٢) لقد كانت مصادري في هذا البحث القرآن الكريم وعلوم، وكتب التفسير، وكتب الحديث، والكتب التي تتعلق بالبحث.

الدراسات السابقة

بعدما بحثتُ قدر الاستطاعة لم أجد بحثًا بهذا العنوان، وإنَّما هي نُصوص في بطون الكتب، أو بعض المقالات التي نُشرت عن أجزاء من هذا الموضوع – خاصة من ناحية علماء الطبيعة–، وذلك حسب الإفادات التي اطلعت عليها من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وجامعة الإمام محمد بن سعود، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الملك سعود، وجامعة أم القرى، وجامعة الملك عبد العزيز، وبعض المجلات التي تخصصت في نشر الأبحاث العلمية.

أما من ناحية الكتب التي تكلمت عن الحيوان والحشرات وغيرها بوجه عام فمنها:

١) حياة الحيوان الكبرى[١].

٢) كتاب الحيوان[٢].

٣) موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي[٣].

٤) حقوق الحيوان والرفق به في الشريعة الإسلامية[٤].

٥) بعض المقالات التي تم نشرها على شبكة الإنترنت عن الحيتان[١].

---

(١) المؤلف: محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ.

(٢) المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ.

(٣) المؤلف: عبد اللطيف عاشور.

(٤) المؤلف: أحمد عبيد الكبيسي، الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، طبعة السنة الثامنة، العدد الرابع، ربيع الأول ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.

القسم الثاني

المبحث الأول: ما هو الحوت

المطلب الأول: تعريف الحوت

(الْحُوتُ): السَّمَكَةُ، وَالْجَمْعُ (الْحِيتَانُ)' قَالَ ابْنُ فَارِس[٢]: الْحُوتُ الْعَظِيمُ مِنَ السَّمَكِ.

و(الحوتُ): بُرجٌ في السماء، و(حات الطّائرُ على الشَّيءِ، يَحُوت): أَي حامَ حَوْلَهُ.

و(حَاوَتَني فلانٌ): إذا راوغَك[٣].

و(الحَوْتاءُ) من النِّساء: الضَّخْمَةُ الخاصِرَة. وحاوَتني فلانٌ: راوغني وخادَعَني، و(ظل يُحَاوِتُني بخُدَعِه): أَي يُدَاوِرُني، كَفعل الحُوت فِي الماءِ. و(الحَوْتُ، والحَوَتانُ) مُحرَّكةً: (حَوَمانُ الطَّائرِ) حولَ الماءِ. و(الحَوْتكيّ): وَهُوَ الرَّجُلُ القصيرُ الخَطْوِ. و(الحَيُّوتُ)، كتنُّور: وَهُوَ ذكرُ الحَيّات[٤].

يجمع (الحوت): حوته وأحواتًا في القليل، فإذا كثرت فهي الحيتان[٥].

---

(١) موقع موضوع على شبكة الإنترنت (https://mawdoo٣.com)، موقع د/ زغلول النجار، على شبكة الإنترنت، مقال بعنوان (فالتقمه الحوت) (www.elnaggarzr.com)، موقع شبكة الألوكة (www.alukah.net)، موقع المعاني على شبكة الإنترنت (معجم المعاني الجامع) (www.almaany.com)، موقع الموسوعة الشعرية (poetry.dctabudhabi.ae)، موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (ar.wikipedia.org).

(٢) هو: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان، أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها (سنة ٣٩٥ هـ)، وإليها نسبته. من تصانيفه: مقاييس اللغة، المجمل، الصاحبي في علم العربية، وغيرها. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٧/ ١٠٣)، تاريخ بغداد وذيوله، للخطيب البغدادي (٢١/ ٤٥)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي (١/ ١٢٧)، الأعلام، للزركلي (١/ ١٩٣).

(٣) انظر: مختار الصحاح (ص: ٨٣) المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م ، وانظر: مجمل اللغة، (ص: ٢٥٥) المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م. وانظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٢٤٧)، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.

(٤) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (٤/٥٠١-٥٠٢)، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

(٥) انظر: الغريبين في القرآن والحديث (٢/ ٥٠٦)، المؤلف: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩م.

المطلب الثاني: أسماء الحوت

للحوت أسماء عدة، وردت في الكتاب والسنة، منها:

١) النُّون: قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١]. أما النُّون فهو: الحوت[٢].

«وذُو النُّونِ»: لَقَبُ يُونُسَ بن مَتَّى، على نبيِّنا وعَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وقد ذَكَرَه اللَّهُ تَعَالَى فِي كتابِه وسَمَّاهُ كَذلِكَ، لأنَّه حَبَسَه فِي جَوْفِ الحُوتِ الَّذِي الْتَقَمَه[٣].

والجمع: «نِينانٌ»، بالكسْرِ، أَي: جَمْعُ النُّونِ الَّذِي بمعْنَى الحُوت، وَمِنْه قول عَلِيٍّ رضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنهُ: «يَعْلَم اخْتِلافَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ»[٤].

(نَوَنَ): فِي حَدِيثِ مُوسَى والخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «خُذْ نُونـاً مَيِّتـاً»[٥] أَيْ حُوتـاً، وجمعُه: نِينَانٌ، وَأَصْلُهُ: «نوْنان»، فقلبَت الْوَاوُ يَاءً، لكَسرة النُّونِ[٦].

وقوله تعالى: (ن والقَلَم) [٧]، قيلَ: (ن) أي: (الحُوتُ) [٨].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥٢١)، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م.

(٣) انظر: التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٢٤٨)، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،وآخرون، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

(٤) قول الإمام علي رضي الله عنه في كتابه: نهج البلاغة (ص ٣١٢) تحقيق: د/ صبح الصالح، الناشر: دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م. ومنسوب إليه في: لسان العرب (١٣/ ٤٢٧)، تاج العروس (٣٦/٢٣٢-٢٣٣)، مجمع بحار الأنوار، لجمال الدين الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (٤/ ٨٠٤)، حياة الحيوان الكبرى، للدميري (١/١٦٣)، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/ ١٣١)، غريب الحديث، لابن الجوزي (٢/ ٣١٠).

(٥) الحديث في الصحيحين، رواه البخاري بهذا اللفظ في صحيحه (٦/ ٨٩، ح ٤٧٢٦)، وبهذا اللفظ وألفاظ أخرى في: (١/ ٢٦، ح ٧٤، ح ٧٨)، (١/ ٣٥، ح١٢٢)، (٤/ ١٥٤،ح ٣٤٠٠، ح ٣٤٠١)، (٦/ ٨٨، ح ٤٧٢٥)، (٦/ ٩١، ح ٤٧٢٧)، (٩/ ١٤٠، ح ٧٤٧٨)، ورواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٤٧، ح ١٧٠ (٢٣٨٠)، (٤/ ١٨٥٠، ح١٧٢ (٢٣٨٠)، (٤/ ١٨٥٢، ح ١٧٤ (٢٣٨٠).

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٣١)، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م. وانظر: لسان العرب (١٣/ ٤٣٠)، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.

(٧) سورة القلم، الآية: ١.

(٨) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٦/ ٢٣١)، تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٥)، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور،

وقالَ الأزْهرِيُّ[1]: ﴿ن والقَلَمِ﴾: لَا يَجوزُ فِيهِ غَيْرُ الهِجاءِ، أَلا تَرَى أَنَّ كُتَّابَ الْمُصْحَفِ كَتَبُوه «ن»، ولَو أُرِيد بِهِ: الدَّواةُ أَو الحُوتُ لكُتِبَ: «نُون» [2].

٢) يَهْموت:

اليَهْموت: اسمٌ للحُوت الَّذِي عَلَيْهِ الأَرْضُ[3].

٣) البُهَارُ:

بضم الباء: حوتٌ أبيض طيب من حيتان البحر[4].

٤) البالُ:

وهو: الحُوتُ العَظِيمُ مِن حِيتان البَحْر، ولَيْسَ بعَربيٍّ، كَمَا فِي الصِّحاح، يُدْعَى جَمَلَ البَحْر، وَهُوَ مُعرَّب، وقيل: «وَال»، وَهِي سَمَكةٌ طولُها خَمْسُونَ ذِراعاً[5].

٥) العنبر[6]:

وهو سمكة تكون في البحر الأعظم، يبلغ طولها خمسين ذراعًا، وقيل: سمكة طولها خمسمائة ذراع أو أكثر، تظهر في بعض الأوقات، طرف جناحها كالشراع العظيم،

مراجعة وتدقيق الأستاذ/ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢ م.

(1) هو: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان (سنة ٣٧٠ هـ)، نسبته إلى جده «الأزهر»، عني بالفقه فاشتهر به أولا، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها وقصد القبائل وتوسع في أخبارهم، ووقع في إسار القرامطة، فكان مع فريق من هوازن «يتكلمون بطباعهم البدوية ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن» كما قال في مقدمة كتابه تهذيب اللغة، ومن كتبه: تفسير القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣١٥)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (٤/ ١٧٧)، الأعلام، للزركلي (٥/ ٣١١)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/ ٦٣).

(2) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٤٠٢)، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م. وانظر: تاج العروس (٣٦/٢٣١- ٢٣٢).

(3) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٤/ ١٣٨٤)، وبنفس اللفظ في (٤/ ١٤١٢)، قال أبوحيان في تفسيره بعد ما ساق هذه الأقوال وأن الأرض على ظهر الحوت: لَعَلَّهُ لَا يَصِحُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. وَقَالَ أَبُو نَصْرٍ عَبْدُ الرَّحِيمِ الْقُشَيْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: (ن) حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، فَلَوْ كَانَ كَلِمَةً تَامَّةً أُعْرِبَ كَمَا أُعْرِبَ الْقَلَمُ، فَهُوَ إِذَنْ حَرْفُ هِجَاءٍ كَمَا فِي سَائِرِ مَفَاتِيحِ السُّوَرِ. انْتَهَى. انظر: البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٢٣٤)، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة ١٤٢٠ هـ. وانظر قول الأزهري الوارد قبل هذا التعليق عند تفسير (ن والقلم)، وانظر: تاج العروس، للزبيدي (١٥١/٥). وَقَالَ الْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ: اسْمُهُ الْبَهْمُوتُ. انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٢٤)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤ م.

(4) انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٠/ ٢٦٦)، حياة الحيوان الكبرى، للدميري (٢٢٧/١)، الجيم (١/ ٩٥)، المؤلف: أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني (المتوفى: ٢٠٦هـ)، المحقق: إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، عام النشر: ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤م.

(5) انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٨/ ١٢٤)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٦٤٢).

(6) وسيأتي في حديث جيش الخبط، عن جابر رضي الله عنه، انظر: (ص: ٢٢٨٩) من هذا البحث.

وأهل المراكب يخافون منها أعظم خوف، فإذا أحسوا بها ضربوا بالطبول لتنفر عنهم، فإذا بغت على حيوان البحر بعث الله سمكة نحو الذراع تلصق بأذنها، فلا خلاص له منها، فتطلب قعر البحر وتضرب الأرض برأسها حتى تموت، وتطفو على الماء كالجبل العظيم. ولها أناس يرصدونها، فإذا وجدوها طرحوا فيها الكلاليب وجذبوها إلى الساحل، وشقوا بطنها واستخرجوا العنبر منها[1].

٦) ليوثا، أو: بلهموثا، أو: لوثيا[2]: وهو قول الواقدي[3]، وكعب الأحبار[4].

٧) بلهوث: وهو قول علي رضي الله عنه[5].

المطلب الثالث: خواص الحوت وطبائعه وأنواعه

أولا: خواص الحوت وطبائعه:

جاء في موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي ما نصه: «تُعَدُّ الحيتان من الثدييات، وهي من أكبر المخلوقات على الأرض وأقواها، فالحوت الأزرق قد يصل طوله إلى ثلاثين متراً، وقد يبلغ وزنه مئتا طن، والحيتان تعيش في البحار والمحيطات، وتلد فيها، وبعض أنواعها صغيرة الحجم تعيش في المياه العذبة (الأنهار).

وتنقسم الحيتان إلى صنفين رئيسيين: الحيتان المسننة (ذات الأسنان)، والحيتان البلّينية التي لا أسنان لها، ويتوقع أنَّ حوت يونس عليه السلام كان من هذه الحيتان البلّينية، ومنها الحوت الأزرق الذي يعتبر أضخم حيوان على وجه الأرض.

وتتنفس الحيتان عن طريق الرئة، كما أنَّ الأنف عند الحيتان تحوّر إلى فتحة مفردة

---

(1) انظر: حياة الحيوان الكبرى (١/ ١٦٣).

(2) انظر: تفسير البغوي، إحياء التراث (٥/ ١٢٩)، تفسير القرطبي (١٨/ ٢٢٤).

(3) هو: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث، ولد بالمدينة، وكان حناطًا (تاجر حنطة) بها، وضاعت ثروته، فانتقل إلى العراق في أيام الرشيد، واتصل بيحيى بن خالد البرمكي فأفاض عليه عطاياه وقربه من الخليفة، فولي القضاء ببغداد واستمر إلى أن توفي فيها (سنة ٢٠٧ هـ)، من كتبه: المغازي النبوية، فتح إفريقية، وغيرها، وأشهر من روى عنه كاتبه محمد بن سعد. انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٥٤)، ميزان الاعتدال (٣/ ٦٦٢)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٦/ ١٨٠)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٦٣).

(4) هو: كعب بن ماتع الحميرى، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، وهو من مسلمة أهل الكتاب، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ويقال: في خلافة عمر بن الخطاب، ويقال: أدرك الجاهلية، وكان على دين يهود، فأسلم، وقدم المدينة، ثم خرج إلى الشام، فسكن حمص حتى توفى بها سنة ثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان. وقال ابن حبان: مات سنة أربع وثلاثين، وقد بلغ مئة سنة وأربع سنين. انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٩)، الطبقات الكبرى (٧/ ٣٠٩)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٤)، تهذيب التهذيب (٨/٤٣٨).

(5) انظر: تفسير البغوي، إحياء التراث (٥/ ١٢٩).

فوق رأسها، وجسم الحيتان يستهلك الأكسجين بكفاءة جيدة لكي تتمكن من الغطس لمدة طويلة ولذا فهو يرتفع فوق سطح الماء مرة كل خمسة عشر دقيقة، وعندما تخرج الحيتان رأسها فوق سطح الماء تقوم باستخراج الهواء المُستهلك عن طريق بخّه إلى الأعلى من فتحة الأنف العلوية وتكون عادة مصحوبة برذاذ بخار الماء الذي يعلو عدة أمتار.

وقد قال علماء الحيوان: أنَّ لسان الحوت يستطيع أن يقف عليه خمسون رجلاً – بدون أي مضايقة– وفم الحوت مُغلق، بمعنى أنَّ يونس عليه السلام كان جالسًا بما يشبه الغرفة الواسعة، ولهذا قال ربنا تبارك وتعالى ﴿فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ﴾[1] ولم يقل: «ابتلعه» أو «هضمه».

والحيتان من ذوات الدمّ الحار، وتلد الحيتان صغارها حية تحت الماء وتقوم بإرضاع صغارها بالحليب عن طريق جلدها الخارجي المُغطى بشكل قليل جدًا بالشعر.

وتختلف الحيتان فى طبائعها اختلافًا واضحًا: فمنها الوديع، ومنها المُشاكس، ومنها المُسالم، ومنها المُقاتل، ولكنها تمتاز عن المخلوقات جميعًا بأنها قد بلغت درجة من الضخامة لم يصل إليها أي حيوان فى الماضى أو الحاضر، ويبدو الإنسان أمام تلك الحيتان العملاقة وكأنه دُمية صغيرة.

وهناك حيتان ضخمة لا تُهاجم أحدًا إلا إذا هُوجمت، وهى غير قادرة على الافتراس، لأن فمها خال من الأسنان.

وهناك من الحيتان ذوات الأسنان مثل: «حوت العنبر» و«الحوت المقاتل» وتستخدم أسنانها الحادة فى افتراس الحيوانات البحرية الكبيرة، كما أنها لا تتوانى عن مُهاجمة الإنسان إذا وجدت إلى ذلك سبيلاً.

والحيتان من الحيوانات الولود؛ وتحمل الأنثى جنينًا واحدًا فى مُعظم الأحيان، وفي العادة تحمل أنثى الحوت مرّةً واحدةً كل سنتين أو ثلاث سنوات، وتتراوح فترة الحمل عند أنثى الحوت بين عشرة شهور إلى ستة عشر شهرًا حسب الأنواع.

هذا وتتناقص الحيتان تناقصًا يوحى بالانقراض بسبب الإقبال على صيدها المُربح لما يستخرج منها من الشحوم التى تُستخدم فى كثير من الأغراض الصناعية.

كما أنَّ الحيتان شرهة بطبعها» [2].

([1]) سورة الصافات، الآية: ١٤٢.

([2]) انظر: موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي (ص: ١٦١ – ١٦٢) بتصرف يسير.

أما عن تزاوج الحيتان: فيبدأ موسم التّزاوج عند الحيتان في أواخر فصل الخريف، وتنتهي هذه الفترة في أواخر فصل الشتاء.

وتلجأ بعض الحيتان لإلقاء نفسها على الشواطئ في عمليّة انتحارٍ جماعية، ممّا يؤدّي إلى موتها بسبب الجفاف.

كما أنها تُصدر أصواتٍ بتردداتٍ عاليةٍ لأغراض التواصل فيما بينها، وتحديد مواقع الفرائس، ولأغراضٍ أخرى[١].

ثانيًا: أنواع الحيتان:

١) الحوت الأزرق، وهو حوت ضخم أزرق اللون، يميل من أعلاه إلى اللّون الرَّماديّ، أصفر من أسفل[٢]. ويُعَدُّ الحوت الأزرق أضخم حيوان خلقه الله تبارك وتعالى فهو أضخم من الديناصورات وأضخم من الفيلة، يمكن أن يصل طوله إلى أكثر من ٣٥ متر، ويمكن أن يصل وزنه إلى أكثر من مائة وثمانين طنًا. وهذا الحيوان على ضخامته لا يأكل إلا الكائنات الميكروسكوبية الضئيلة التي تسمي «البلانكتون» وهي الكائنات الطافية الهائمة، فهو لا يملك أسنان، وله ألواح رأسية يصطاد بها هذه الكائنات الطافية وطريقة تناوله لطعامه كالآتى: يأخذ بفمه خمسين مترًا مكعبًا من الماء فيصطاد ما فيها من كانت طافية، ويرج الماء من جانبي الفم حتى لا تفلت منه واحدة من هؤلاء «البلانكتون»[٣].

٢) الحوت ذو المنقار، أو الحوت مقوّس الرّأس يعيش هذا الحوت في المناطق القطبيّة؛ لذلك تكون طبقة الدّهون التي تغطي جسمه سميكة لتحميه من البرد، ويتراوح طوله ما بين ٤٥-٦٠ قدماً، ويمكن أن يصل وزنه إلى ١٠٠ طن[٤].

٣) الحوت الأحدب: يتراوح طوله بين ٤٠-٥٠ قدمًا، ويزن في المتوسط ما بين ٢٠-٣٠ طناً، وله زعانف صدريّة شبيهة بالجناح، يصل طولها إلى ١٥ قدمًا. يشتهر هذا الحوت بهجراته الطّويلة بين أماكن تغذيته وأماكن تكاثره، ويصوم غالباً لفترة تصل إلى عدة شهور أثناء موسم التكاثر الشّتويّ[٥].

---

(١) انظر: موقع موضوع على شبكة الإنترنت (https://mawdoo٣.com).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٥٧٦).

(٣) انظر: موقع د/ زغلول النجار، على شبكة الإنترنت، مقال بعنوان (فالتقمه الحوت) (www.elnaggarzr.com).

(٤) انظر: موقع موضوع على شبكة الإنترنت (https://mawdoo٣.com) مقال عن أنواع الحيتان.

(٥) المرجع السابق.

٤) الحوت الرمادي، وهو الحوت الرَّماديّ: حوت عظميّ الفك يعيش في المحيط الهادي، لونه رماديّ يميل إلى الأسود مع لطخات بيضاء[١].

٥) حوت العنبر: الذي تستخرج منه مادة العنبر العطرية[٢].

٦) الحوت الأبيض: ويسمى أحياناً بالدولفين الأبيض، لشبهه الكبير مع الدولفين (الدولفين ينتمي لفصيلة الحيتان، لكنه صغير الحجم، وأليف جداً مع الإنسان). ويعيش الحوت الأبيض بشكلٍ أكبر في البحار الجليدية الباردة؛ حيث يهاجر في فصل الشتاء باتجاه الجنوب، ويتميّز الحوت الأبيض عن باقي الحيوانات البحرية بعدم وجود أعداء له أبداً في البحر، لأنّ جميع الحيوانات تخشاه، ويبلغ طوله ستة أمتار، أما وزنه فيبلغ ألفاً وخمسمائة كيلوجرام[٣].

٧) حوت الحيض أو الفاطوس: وهو دابة عظيمة في البحر تمنع المراكب الكبار عن السير، فإذا أشرف أهل السفينة على الهلاك، رموا له بخرق الحيض فيهرب، ولا يقربهم فهي مُعَدَّة معهم لذلك، وهذا الحوت اسمه «الفاطوس. قيل: ومن عجيب أمر هذا الحيوان أنه لا يقرب مركبًا فيه امرأة حائض[٤].

٨) يُسمى صغير الحوت: (العجل)، وعند ولادته يرضع من حليب أمه الذي يحتوي على كميةٍ كبيرةٍ من الدّهون وجزيئات الطاقة، ويتناول عجل الحوت الصغير يومياً حوالي أربعمائة لترٍ من الحليب، ويكون قادراً على السباحة فور ولادته[٥].

المطلب الرابع: الفرق بين الحوت والسمك والراجح من ذلك

سبق تعريف الحوت، ولكي يتضح هذا المطلب نبدأ بتعريف السمك.

لم ترد كلمة (سَمَك) في القرآن الكريم كله، ولكن الله تعالى قال عنه: (لحماً طرياً)، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٦].

والمعنى اللغوى للسمك: في الصحاح: والسَمَكُ من خَلْقِ الماء، الواحدة سمكةٌ، وجمع السَمَكِ سِمَاكٌ وسُموكٌ[٧]. وفي كتاب العين: السَّمَكُ في الماء، الواحدة، سمكة.

---

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٥٧٦).

(٢) انظر: موقع موضوع على شبكة الإنترنت (https://mawdoo٣.com) مقال عن أنواع الحيتان.

(٣) انظر: موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (ar.wikipedia.org) مقال عن الحوت الأبيض.

(٤) انظر: حياة الحيوان الكبرى (١/ ٣٨٠).

(٥) انظر: موقع موضوع على شبكة الإنترنت (https://mawdoo٣.com) مقال عن صغير الحوت.

(٦) سورة النحل، الآية: ١٤.

(٧) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٥٩٢).

والسَّمَكَةُ: برج في السماء يقال له: الحوت[١]. وفي المختار: (السَّمَكُ) مَعْرُوفٌ وَاحِدَتُهُ (سَمَكَةٌ) وَجَمْعُ السَّمَكِ (سِمَاكٌ) وَ(سُمُوكٌ) [٢]. وفي معجم الصواب اللغوي: وردت كلمة «أسماك» في المعاجم جمعًا لكلمة «سَمَك»، ففي التاج: السَّمك: الحُوت من خلق الماء واحدته سمكة والجمع أسماك وسُمُوك وسِمَاك[٣].

وفي المعجم الوسيط: (السّمك) حَيَوَان مائي وَهُوَ أَنْوَاع كَثِيرَة لكل نوع اسْم خَاص يميزه جمعه: سماك وسموك وأسماك، و(السَّمَكَة) وَاحِدَة السّمك[٤].

وفي حياة الحيوان الكبرى: السمك: من خلق الماء، الواحدة سمكة، وجمعه أسماك وسموك، وهو أنواع كثيرة ولكل نوع اسم خاص[٥].

وقيل: السَّمَكُ: حيوان فقاريّ مائيّ خيشوميّ التَّنفس، وهو أنواع كثيرة لكلٍّ نوع اسم خاصّ يميّزه صيّاد السَّمَك، والخياشيم هي أعضاء التنفُّس فيه. والجمع: سِمَاك، وسُموكٌ، وأَسماكٌ.

أنواع السمك: «من أنواع السمك ما لا يدرك الطرف أولها وآخرها لكبرها، وما لا يدركها الطرف لصغرها، وكل يأوي الماء ويستنشقه كما يستنشق بنو آدم، وحيوان البر الهواء[٦]، ومنها:

سَمَك القِرْش: أسماك كبيرة ذات أفواهٍ مقوّسة مزوّدة بأسنانٍ حادّة، وهي ماهرة في السباحة وتفترس الأحياء من كلّ نوع، وهي خطيرة على حياة الإنسان.

سمك التّرْس: نوع من السمك كبير الحجم.

سَلْمُون: جنس سمك مفترس من فصيلة السّلمونيّات، وهو كبير الحجم يعيش ويتكاثر في المياه العذبة والمالحة.

سمك صخْريّ: سمك يعيش بين الصُّخور، أو نوع من الأسماك يعيش في المحيط الهادي» [٧].

أما عن الفرق بين الحوت والسمك:

---

(١) انظر: العين (٥/ ٣١٧).

(٢) انظر: مختار الصحاح (ص: ١٥٤).

(٣) انظر: معجم الصواب اللغوي (١/ ٤٣).

(٤) انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٥٠).

(٥) انظر: حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٣٩).

(٦) انظر: حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٣٩).

(٧) انظر: موقع المعاني على شبكة الإنترنت (معجم المعاني الجامع) (www.almaany.com)، موقع موضوع على شبكة الإنترنت (https://mawdoo٣.com) مقال عن أنواع الأسماك.

وجه المقارنة	الحوت	السمك
التنفس	تتنفس الحيتان عن طريق الرئة	تتنفس الأسماك عن طريق الخياشيم
وضع الذيل	يتخذ ذيل الحوت الوضع الأفقي	يتخذ ذيل السمك الوضع العمودي
الدم	الحيتان من ذوات الدم الحار	الأسماك من ذوات الدم البارد
العمر	الحيتان أطول عمرًا	
الحجم	الحيتان أكبر حجمًا	
التناسل	الحيتان تلد ولا تبيض	الأسماك تبيض
الرضاعة	أنثي الحوت لها ثديان مثل باقي الثدييات ترضع صغيرها منهما	ليس لها أثداء ولا ترضع صغارها
النوع	من الثدييات	من الحيوانات الفقارية المائية

الترجيح: من هذه التعريفات التي سقتها، والفروق التي أوضحتها يتبين أنَّ هناك فرقًا بين الحيتان والأسماك في بعض الصفات التي خلقها الله تعالى فيهما.

وأرى –والله أعلم– في هذا الموضوع: أنَّ الحيتان والأسماك مِنْ جنس واحد، وأنَّ الحوت هو الكبير العظيم مِنَ الأسماك، ويتضح ذلك في تعريف الحوت كما في المصباح المنير حيث قال: الْحُوتُ: الْعَظِيمُ مِنْ السَّمَكِ، وَهُوَ مُذَكَّرٌ، وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ [1]، وَالْجَمْعُ حِيتَانٌ[2].

وفي فتح الباري: أما الحوت فهو اسم جنس لجميع السمك، وقيل: هو مخصوص بما عظم منها[3].

وقيل: الْحُوت: مَعْرُوف وَهُوَ مَا عَظَمُ مِنَ السّمك وَالْجمع حيتان وأحوات. وَقَالَ قوم: بل السّمك كُله حيتان[4].

([1]) سورة الصافات، الآية: ١٤٢.

([2]) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ١٥٥).

([3]) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٨/ ٧٩).

([4]) انظر: جمهرة اللغة (١/ ٣٨٧)

وقيل: الحوت: سمكة صغيرة كانت أو كبيرة[1]. ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾[2]، فالمقصود بالحيتان هنا السمك.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ، فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ، فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ»[3]، والمقصود بالحوت هنا: السمك، وسيأتي بيان ذلك في المطلب التالي.

والخلاصة:

ما ذكره في المختار حيث قال: (الْحُوتُ) السَّمَكَةُ وَالْجَمْعُ (الْحِيتَانُ)، وَيُؤَيِّدُ كَوْنَهُ مُطْلَقَ السَّمَكَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (نَسِيَا حُوتَهُمَا) [4]، وَالْمَنْقُولُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهَا كَانَتْ سَمَكَةً فِي مِكْتَلٍ[5]. وَمَا ظَنُّكَ بِزَوَّادَةِ اثْنَيْنِ خُصُوصًا مُوسَى وَصَاحِبَهُ؟! وَأَدَلُّ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ)[6] وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ)[7] فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ إِطْلَاقِ الْحُوتِ عَلَى السَّمَكَةِ الْكَبِيرَةِ لَا عَلَى حَصْرِ مُسَمَّى الْحُوتِ فِيهَا كَمَا يَظُنُّهُ الْعَامَّةُ. وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ[8]: الْحُوتُ الْعَظِيمُ مِنَ السَّمَكِ[9].

المطلب الخامس: حكمه الشرعي

سبق تعريف الحوت بأنه السمكة، أو أنه الكبير العظيم من الأسماك.

وقد حَرَّمَ الله تعالى الميتة والدم المسفوح، ويستثنى منهما ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حِلُّه، كالحوت والجراد.

---

(1) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٥٧٦).

(2) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

(3) الحديث مروي في: مسند أحمد (١٠/ ١٦)، سنن ابن ماجة (٢/ ١٠٧٣، ح ٣٢١٨)، (٢/ ١١٠٢، ح ٣٣١٤) قال محمد فؤاد عبد الباقي: في إسناده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف، سنن الدارقطني (٥/ ٤٩٠، ح ٤٧٣٢)، المنتخب من مسند عبد بن حميد (٢/ ٤٦، ٨١٨)، السنن الكبرى للبيهقي (١/ ٣٨٤، ح ١١٩٦، ح ١١٩٧)، وقال: هذا إسناد صحيح، وهو في معنى المسند، وقد رفعه أولاد زيد عن أبيهم، وفي (١/ ٣٨٤، ح ١١٩٧)، وقال: أولاد زيد هؤلاء كلهم ضعفاء جرحهم يحيى بن معين، وكان أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني يوثقان عبد الله بن زيد، وفي (٩/ ٤٣٢، ح ١٨٩٩٧)، (١٠/ ١٢، ح ١٩٦٩٧)، وقال: رواه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأخواه ، عن أبيهم، ورواه غيرهم موقوفًا على ابن عمر ، وهو الصحيح.

(4) سورة الكهف، الآية: ٦١.

(5) المِكْتَل: زِنْبِيلٌ يُحملُ فِيهِ التمْرُ أَو العِنَبُ. انظر: تاج العروس (٣٠/ ٣١٢).

(6) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

(7) سورة الصافات، الآية: ١٤٢.

(8) سبقت ترجمته ص: ٢٢٧٦.

(9) انظر: مختار الصحاح (ص: ٨٣-٨٤)، مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٢٥٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٢٤٧).

أما عن طهارته:

• قال النووي[١] رحمه الله: فالسمك والجراد إذا ماتا طاهران بالنصوص والإجماع[٢].

وقال الشربيني[٣] رحمه الله: وأما ميتة السمك والجراد؛ فللإجماع على طهارتهما[٤].

وقد وافق على هذا الإجماع الحنفية[٥]، والمالكية[٦]، والحنابلة[٧]، والدَّليلُ عَلَى طهارة دم الحوت كما هو عند الحنفية[٨]، أَنَّهُ إِذَا يَبِسَ ابْيَضَّ بِخِلَافِ سَائِرِ الدِّمَاءِ فَإِنَّهُ يَسْوَدُّ [٩].

ودليلهم في ذلك:

١) قول النبي صلى اللَّه عليه وسلم فِي الْبَحْرِ «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ»[١٠].

قَوْلُهُ: «الْحِلُّ مَيْتَتُهُ» يُرِيدُ مَا مَاتَ مِنْ حَيَوَانِهِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ ذَكَاةٍ، وَالْحَيَوَانُ جِنْسَانِ: بَحْرِيٌّ وَبَرِّيٌّ، أَمَّا الْبَحْرِيُّ فَنَوْعَانِ: نَوْعٌ لَا تَبْقَى حَيَاتُهُ فِي الْبَرِّ كَالْحُوتِ، وَنَوْعٌ تَبْقَى حَيَاتُهُ فِي الْبَرِّ كَالضُّفْدَعِ وَالسَّرَطَانِ وَالسُّلَحْفَاةِ، فَأَمَّا الْحُوتُ فَإِنَّهُ طَاهِرٌ مُبَاحٌ عَلَى أَيِّ وَجْهٍ فَاتَتْ نَفْسُهُ. وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِنَا: قَوْلُه تَعَالَى (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ

---

(١) هو: يحيى بن شرف بن مري بن حسن محيي الدين أبو زكريا النووي الشافعي، شيخ الْإِسْلَام أستاذ الْمُتَأَخِّرين، وَحجَّة الله على اللاحقين، والداعي إِلَى سَبِيل السالفين، كان إمامًا بارعًا حافظًا أمَّارًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، تاركًا للملذات ولم يتزوج، أتقن علومًا شتى، ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، ومن تصانيفه: تهذيب الأسماء واللغات ؛ المنهاج في شرح مسلم؛ التقريب والتيسير في مصطلح الحديث؛ الأذكار ؛ رياض الصالحين وهو كتاب جامع ومشهور؛ الأربعون النووية ؛ وغيرها. (توفي سنة ٦٧٦هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٣٩٥)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٣/ ٤٠٣)، الأعلام للزركلي (٨/ ١٤٩).

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب، للنووي (٢/ ٥٦١).

(٣) هو: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، المعروف بالخطيب الشربيني ؛ مفسر، من فقهاء الشافعية، من أهل القاهرة. درس وأفتى في حياة شيوخه، وحج مرارًا. له تصانيف، منها: السراج المنير في تفسير القرآن، مغني المحتاج في شرح منهاج الطالبين، وغيرها (توفي ٩٧٧ هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٦)، شذرات الذهب (١٠/ ٥٦١) وترجم له باسم: (شمس الدّين محمد بن محمد الشّربيني القاهري الشافعي)، معجم المفسرين (٢/ ٤٨٥)، معجم المؤلفين (٨/ ٢٦٩)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (٣/ ٧٢).

(٤) انظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للشربيني (١/ ٢٣٢).

(٥) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للكاساني (١/ ٦١).

(٦) انظر: الكافي في فقه أهل المدينة، لابن عبد البر (١/ ٤٣٧)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد (١/ ٨٣).

(٧) انظر: المغني لابن قدامة (١/ ٣٤).

(٨) وهو قولي أبي حنيفة، ومحمد. انظر: البناية شرح الهداية، لبدر الدين العيني (١/ ٧٣٦).

(٩) انظر: حياة الحيوان الكبرى (١/ ٣٨٠)، تفسير القرطبي (٢/ ٢٢٢).

(١٠) (الطهور) اسم لما يتطهر به كالوضوء لما يتوضأ به. (الحل) أي الحلال. (مَيتته) بفتح الميم. قال الخطابي وعوام الناس يكسرونها. وإنما هو بالفتح يريد حيوان البحر إذا مات فيه.، والحديث مروي في: سنن ابن ماجة (١/ ١٣٦، ح ٣٨٦)، موطأ مالك (١/ ٢٢، ح ١٢) وصححه، مصنف ابن أبي شيبة (١/ ١٢٢، ح ١٣٩٢)، مسند أحمد (١٢/ ١٧١، ح ٧٢٣٣)، سنن الدارمي (١/ ٥٦٧، ح ٧٥٦)، (٢/ ١٢٧٨، ح٢٠٥٤)، سنن أبي داود (١/ ٢١، ح ٨٣)، السنن الكبرى للنسائي (١/ ٩٣، ح ٥٨)، سنن الترمذي (١/ ١٠٠، ح٦٩)، السنن الكبرى للبيهقي (١/ ٥، ح ١)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٢٣٧، ح٤٩١)، (١/ ٢٣٩، ح ٤٩٧) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَشَوَاهِدُهُ كَثِيرَةٌ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» قال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم. والحديث صححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ١٤٩، ح٤٧٩)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٨٦٤، ح٤٨٠).

وَطَعَامُهُ)[1] فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صَيْدُهُ مَا صِدْتَه، وَطَعَامُهُ مَا رَمَى بِهِ، وأيضًا هذا الحديث، وَاسْمُ الْمَيْتَةِ إِذَا أُطْلِقَ فِي الشَّرْعِ فَإِنَّمَا يُطْلَقُ عَلَى مَا فَاتَتْ نَفْسُهُ مِنْ غَيْرِ ذَكَاةٍ وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ[2]﴾ [3].

وجه الدلالة: أنَّ النبي صلى اللَّه عليه وسلم نَصَّ على حل ميتة البحر، ومنها الحوت، ومن المعلوم أنَّ حلَّ الأكل طهارة وزيادة.

٢) حديث ابن عمر[4] رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ، فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ، فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ»[5].

وجه الدلالة: أنَّ النبي صلى اللَّه عليه وسلم نَصَّ على حِلِّ ميتة الجراد والحوت[6]، وهو طهارة وزيادة، واللَّه تعالى أعلم.

فقوله صلى الله عليه وسلم: «أُحِلَّتْ»: مأخوذة من الحلال، والمراد به الإباحة. والتحليل والتحريم من اختصاص الشارع الحكيم.

وقوله: «مَيْتَتَانِ»:مفردها: «ميتة»، وفيه لغتان: «ميْت» بتسكين الياء، و«ميّت» بتشديدها، فما تحقق موته تجوز فيه اللغتان، وما لم يمت تشدد يائه.

والأصل في الميتة أنها مُحَرَّمَة إذا كانت ميتة البر، وأما ميتة البحر فالأصل فيها الإباحة عند جماهير أهل العلم، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في هذا الخبر من قوله: «أُحِلَّتْ لنا».

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) انظر: المنتقى شرح الموطأ (١/ ٦٠).

(٤) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوى، أبو عبد الرحمن المكي ثم المدني، أسلم قديمًا مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحُلُم، وهاجر معه، واستُصْغِر يوم أحد، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو شقيق حفصة أم المؤمنين، أمهما: زينب بنت مظعون، أخت عثمان بن مظعون. قالت حفصة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عبد الله رجل صالح». وقال جابر بن عبد الله: ما منا أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها، إلا عبد الله بن عمر. مات سنة أربع وسبعين. وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة وكان من أشد الناس اتباعًا للأثر. ومناقبة وفضائلة كثيرة جدًا. انظر: أسد الغابة (٣/ ٣٣٦)، الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٥٥)، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/ ١٧٠٧)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٥٠)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٣)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٣١/ ٧٩)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٢٨).

(٥) سبق تخريجه، انظر: (ص: ٢٢٨٥) من هذا البحث.

(٦) وهو مذهب الشافعية انظر: الحاوي الكبير، للماوردي (١٥/ ٥٨)، والمالكية انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد (١/ ٨٣)، والحنابلة انظر: المغني لابن قدامة (١/ ٣٤)، والظاهرية، قال ابن حزم في المحلى بالآثار (٦/ ٦٠): وَأَمَّا مَا يَسْكُنُ جَوْفَ الْمَاءِ وَلَا يَعِيشُ إلَّا فِيهِ فَهُوَ حَلَالٌ كُلُّهُ كَيْفَمَا وُجِدَ، سَوَاءٌ أُخِذَ حَيًّا ثُمَّ مَاتَ أَوْ مَاتَ فِي الْمَاءِ، طَفَا أَوْ لَمْ يَطْفُ، أَوْ قَتَلَهُ حَيَوَانٌ بَحْرِيٌّ أَوْ بَرِّيٌّ هُوَ كُلُّهُ حَلَالٌ أَكْلُهُ.... قَتَلَ كُلَّ ذَلِكَ وَثَنِيٌّ أَوْ مُسْلِمٌ أَوْ كِتَابِيٌّ أَوْ لَمْ يَقْتُلْهُ أَحَدٌ.. ويأكل الطافي من السمك بقول ابن أبي ليلى، والأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك، والليث، والشافعي..إلخ.

٣) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾ [١] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾[٢]. ووجه الدلالة: أنَّ طعامَ البَحرِ المذكورَ في الآية هو ما مات فيه، ومن ذلك السَّمَك؛ وإباحةُ الله تعالى أكْلَه، دليلٌ على طهارَتِه، وقوله: (أُحِلَّ لَكُمْ) أي: أحل لكم –في حال إحرامكم– (صَيْدُ الْبَحْرِ) وهو الحي من حيواناته، (وَطَعَامُهُ)، وهو الميت منها، فدل ذلك على حل ميتة البحر[٣].

٤) عَنْ جَابِرٍ[٤]، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيْشٍ[٥]، وَزَوَّدَنَا جِرَابًا[٦]مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، قَالَ: فَقُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ..... قَالَ: وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ[٧] الضَّخْمِ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرَ، (وفي رواية: فَأَلْقَى الْبَحْرُ حُوتًا مَيِّتًا لَمْ نَرَ مِثْلَهُ، يُقَالُ لَهُ الْعَنْبَرُ) قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قَالَ: لَا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا، قَالَ: فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا وَنَحْنُ ثَلَاثُ مِائَةٍ حَتَّى سَمِنَّا، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِنْ وَقْبِ عَيْنِهِ بِالْقِلَالِ الدُّهْنَ، وَنَقْتَطِعُ مِنْهُ كَقَدْرِ الثَّوْرِ.. فَلَمَّا أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٦١)، تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٤٤).

(٤) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ؛ الصحابي الجليل، من المُكْثِرين في الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم مرات، وشهد صفين مع علي رضي الله عنه، ولد قبل الهجرة بست عشرة سنة، و(توفي سنة ٧٨هـ). انظر: أسد الغابة (١/ ٤٩٢)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٨٩)، الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٤٦)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢١٩)، تاريخ الإسلام (٢/ ٧٩٧).

(٥) قريش: قبيلة عربية تسكن مكة وما حولها، أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي، دون ولد كنانة ومن فوقه، ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان بنو هاشم وبنو أمية وسادة قريش يسكنون ببطن مكة ويسمون (قريش البطاح). ومن دونهم في الشرف يسكنون ظواهر جبال مكة ويسمون (قريش الظواهر)، وقد أجمع العلماء باللغة العربية أن لغة قريش أفصح لهجات الجزيرة العربية وأكثرها بلاغة ودقة، روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: قريش هم أوسط العرب دارًا، وأحسنه جوارًا، وأعربه ألسنة. وقال قتادة: كانت قريش تجتبي – أي تختار– أفضل لغات العرب، حتى صار أفضل لغاتها لغتها، فنزل القرآن بها. وكان يطلق على قريش في الجاهلية (الحمس)، لشدتهم وشجاعتهم. وفي الوقت الحاضر تطلق قريش على بقايا القبيلة المقيمين في منى وعرفات وما جاورهما، وعلى فرع من ثقيف في ناحية الطائف. انظر: معجم قبائل العرب، كحالة (٩٤٧/٣)، تاج العروس (٦/ ٣١٥)، جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص١٢)، لسان العرب (١/ ٥٨٨).

(٦) الْجِرَابُ: وِعَاءُ الزَّادِ، وَالْعَامَّةُ تَفْتَحُهُ، وَالْجَمْعُ (أَجْرِبَةٌ)، و(جُرُبٌ) أَيْضًا. انظر: مختار الصحاح (ص: ٥٥).

(٧) (الْكَثِيبُ) مِنَ الرَّمْلِ الْمُجْتَمِعُ. انظر: مختار الصحاح (ص: ٢٦٦).

وسَلَّمَ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟»، قَالَ: فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ فَأَكَلَهُ[1].

وكما أنَّ الحوت لا يُتصور تذكيته كالبهائم، فمن يسر الإسلام أنه لا ذكاة له[2]، فالتحقيق: أنَّ الإجماع مُتحقق على طهارة الحوت، وجواز أكله وبيعه حتى وهو ميت ؛ وبما أنَّه حلال فليس بنجس؛ لعدم وجود المخالف في المسألة ، واللَّه أعلم[3].

المطلب السادس: عبادة الحوت لله تعالى

إنَّ هذا الكون الواسع بما فيه من الكائنات كلها يخضع لخالقه سبحانه وتعالى، ويؤدي له سبحانه العبودية الحقَّة، وقد ثبت أنَّ لهذه الكائنات طاعات كثيرة كالسجود، والتسبيح، والاستغفار، والإسلام، والإشفاق، وغيرها، وقد خلق الله تعالى السماوات والأرض، وجعل لكل منهما أهلاً وسكاناً، فأسكن ملائكته السماوات وأسكن الإنسان والجنَّ والحيوانات الأرض، ومن جملة الأرض البحار والأنهار، وهي من جنس واحد لِمَا بها من ماء، ولكن هذا ملح أجاج، وهذا عذب فرات، وخلق أيضًا في أعماق هذه المياه مخلوقات يصعب حصرها من الحيتان المختلفة في أنواعها وأشكالها وألوانها وفصائلها، وكل هذه المخلوقات التي في السماوات والأرض والبحار عابدة لله تعالى، مسلمة له، مسبحة بحمده.

١) سجود الحوت: يدخل الحوت في عموم الكائنات التي تسجد لله تعالى كما في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٧،ح ٢٤٨٣)، (٤/ ٥٥،ح ٢٩٨٣)،(٥/ ١٦٦،ح ٤٣٦٠)، (٥/ ١٦٧،ح ٤٣٦١) (٥/ ١٦٧، ح ٤٣٦٢)، (٧/ ٩٠،ح ٥٤٩٣)،(٧/ ٩٠،ح ٥٤٩٤)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٣٦، ح ١٨ – ١٩٣٥).

(2) انظر: فضل رب البرية في شرح الدرر البهية (ص: ٣٦٨)، موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي (١/ ٦٢٦-٦٢٧)، المجموع شرح المهذب، للنووي (٢/ ٥٦١)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١/ ٢٣٢)، المبسوط، للسرخسي (١١/ ٢٢٠)، (١١/ ٢٢٩)، شرح الخرشي (١/ ٨٢)، حاشية الصاوي (٢/ ١٧٠)، الفروع (٦/ ٣٠٨)، الإنصاف (١٠/ ٣٨٤)، المحلى، لابن حزم (٦/ ٦٠).

(3) نقل الإجماعَ على حِلِّ مَيتةِ السَّمَك: ابنُ عبدِ البَرِّ في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٣/ ١٢) حيث قال: السَّمَكَ لَمْ يُخْتَلَفْ فِي أَكْلِه، والنوويُّ في المجموع شرح المهذب (٢/ ٥٦١) حيث قال: فَالسَّمَكُ وَالْجَرَادُ إذَا مَاتَا طَاهِرَانِ بِالنُّصُوصِ وَالْإِجْمَاعِ، وقال ابنُ تيميَّة في منهاج السنة النبوية (٨/ ٢٠٠): وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على حل السمك كله، وقال ابنُ حجر في فتح الباري (٩/ ٦١٩): ولا خلاف بين العلماء في حل السمك على اختلاف أنواعه وإنما اختلف فيما كان على صورة حيوان البر، وقال الشِّربيني في مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١/ ٢٣٢): وَأَمَّا مَيْتَةُ السَّمَكِ وَالْجَرَادِ فَلِلْإِجْمَاعِ عَلَى طَهَارَتِهِمَا، وقال الشوكانيُّ في السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (ص: ٢٨): وبالجملة فلا خلاف في أن ميتة السمك حلال طاهرة.

اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2].

ففي هذه الآيات يُخبر الله تعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء، ودانت له المخلوقات بأسرها: جمادها وحيواناتها، ومكلفوها من الإنس والجن والملائكة، فأخبر أنَّ كل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال، أي: بكرة وعشيًا، فإنَّه ساجد بظله لله تعالى، وكما قيل: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل[3].

فأثبت الله تعالى السجود لكل الكائنات، وبيَّن كيفية سجود بعضها بفيء ظلالها عن اليمين والشمال، ولا يلزم أن يكون سجودها على سبعة أعضاء، فهذا خاص بالثقلين، وأما سجود بقية الكائنات فكلٌ بحسبه.

٢) تسبيح الحوت: فكما أنه يسجد لله تعالى، فهو أيضًا يسبحه، كما في قوله سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[4]، فقوله: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ) من حيوان ناطق وغير ناطق ومن أشجار ونبات وجامد وحي ومميت (إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) بلسان الحال ولسان المقال. (وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) أي: تسبيح باقي المخلوقات التي على غير لغتكم بل يحيط بها علام الغيوب[5]. وفي معاني القرآن: قوله: (وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) جائز أن يكون تسبيح هذه الأشياء ممَّا علَمَ اللَّه به، لايُفقَه منْه إلا ما علَّمنَا[6]. وقيل: أَيْ لَا تَعْلَمُونَ تَسْبِيحَ مَا عَدَا مَنْ يُسَبِّحُ بِلُغَاتِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ، إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً[7]. وفي تفسير الرازي: فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ تَسْبِيحَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَنَا وَدَلَالَتُهَا عَلَى وُجُودِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ مَعْلُومٌ، وَالْمَعْلُومُ مُغَايِرٌ لِمَا هُوَ غَيْرُ مَعْلُومٍ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا تُسَبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى وَأَنَّ تَسْبِيحَهَا غَيْرُ مَعْلُومٍ لَنَا[8].

---

(1) سورة الحج، الآية: ١٨.

(2) سورة النحل، الآيات: ٤٨–٥٠.

(3) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٥–٥٧٦).

(4) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(5) انظر: تفسير السعدي،تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٥٩).

(6) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٤٢).

(7) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٣٦).

(8) انظر: تفسير الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٠/ ٣٤٧).

وفي تفسير ابن كثير[1]: وقوله: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) أي: وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد (وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) أي: لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس؛ لأنها بخلاف لغتكم. وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد، كما أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل[2].

وهذا التسبيح لا نفقهه نحن البشر، وعدم معرفتنا به ليس دليلاً على نفيه، فقد خَصَّ اللهُ تعالى بعض خلقه من البشر باستماع تسبيح هذه الكائنات وأفهمه هذا التسبيح كنبي الله داود عليه السلام، وقد أفهم الله تعالى تلك الكائنات كيفية التسبيح الخاص لكل منها، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [3]، ففي هذه الآية يخبر سبحانه وتعالى أنه يسبحه من في السماوات والأرض، من الملائكة والأناسي، والجان والحيوان، حتى الجماد، والطير في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح ألهمها وأرشدها إليه، وهو يعلم ما هي فاعلة؛ ولهذا قال: (كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) أي: كُلٌّ قد أرشده إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله عز وجل[4].

ويدل على تسبيح الحوت أيضًا: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا تَسْتَقِلُّ الشَّمْسُ فَيَبْقَى شَيْءٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا سَبَّحَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحَمِدَهُ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَأَغْبِيَاءِ بَنِي آدَمَ»[5].

٣) إسلام الحوت وخشوعه وخضوعه لله تعالى: فالحوت داخلٌ في قوله سبحانه: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [6].

٤) استغفار الحوت للعلماء الذين يُعَلِّمُون الناس الخير: كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْبَحْرِ»[7].

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٧٩).

(2) كما روى البخاري في صحيحه (٤/ ١٩٤، ح ٣٥٧٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «.. فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ».

(3) سورة النور، الآية: ٤١.

(4) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٧٢).

(5) رواه ابن السني في: عمل اليوم والليلة (ص: ١٢٩، ح ١٤٩) عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيه: «.. إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَأَعْتَى بَنِي آدَمَ»، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ١١١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٥/ ١٧٦١)، وصححه الألباني في: صحيح الجامع الصغير، للسيوطي، (حديث ٥٤٧٥)، السلسلة الصحيحة (حديث ٢٢٢٤).

(6) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(7) رواه ابن ماجة في سننه (١/ ٨٧، ح ٢٣٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ٥٤، ح ٣٠٢٤)، وهو أيضًا جزء من رواية الحديث الآتي تخريجه في الحاشية التالية بلفظ: «.... وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ».

٥) استغفار الحوت لطالب العلم: كما قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[١]. فقوله صلى الله عليه وسلم: «حَتَّى الْحِيتَانِ» يُشعر بأنَّ الحيتان تُقَدِّر منزلة العالِم، لذا فهي تستغفر له، وتعرف فضل العالم ومنزلته في تعليم الناس الخير، ومن المؤسف أننا لا نجد هذا التقدير من كثير من البشر تجاه العلماء، ويا ليت هذا فحسب ؛ بل تجاوز إلى السخرية والتهكم، وهذه فتن وابتلاءات يقابلها العلماء والدعاة إلى الله تعالى، ولكن يكفي أن نؤمن بأن الحيتان والنمل وغيرها من المخلوقات أكثر تقديرًا من البشر للعلماء ومعلمي الناس الخير[٢].

٦) طاعة الحوت وامتثاله لأوامر الله تعالى: وذلك كما ورد في البداية والنهاية في قصة نبي الله يونس عليه السلام ونَصُّ العبارة: أنَّه لما وقعت عليه القرعة ألقى في البحر، وبعث الله عز وجل حوتًا عظيمًا فالتقمه، وأمره الله تعالى ألا يأكل له لحمًا، ولا يهشم له عظمًا. فأخذه فطاف به البحار كلها، وقيل: إنه ابتلع ذلك الحوت حوت آخر أكبر منه[٣].

وأيضًا امتثال الحيتان لأمر الله تعالى في قصة أصحاب السبت، حيث أنها كانت تمتنع وتختفي في سائر الأيام، ثم تأتي إليهم في يوم السبت شُرعًا لابتلائهم، وسيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

---

(١) الحديث مروي في: سنن ابن ماجة (١/ ٨١، ح ٢٢٣)، مسند أحمد (٣٦/ ٤٥، ح ٢١٧١٥)، سنن الدارمي (١/ ٣٦١، ح ٣٥٤)، جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (١/ ١٦٠، ح ١٦٩)، شعب الإيمان، للبيهقي (٣/ ٢٢٠، ح ١٥٧٣)، مسند ابن أبي شيبة (١/ ٥٥، ح ٤٧)، صحيح ابن حبان (١/ ٢٨٩، ح ٨٨)، سنن الترمذي (٥/ ٤٨، ح ٢٦٨٢)، سنن أبي داود (٣/ ٣١٧، ح ٣٦٤١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ٥٤، ح ٣٠٢٤)، و صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٠٢٣، ح ٥٨٨٣).

(٢) انظر: عبودية الكائنات لرب العالمين (ص ٢٤٤-٢٤٧، ٢٧٥) بتصرف يسير، المؤلف: فريد إسماعيل التوني، الناشر: مكتبة الضياء، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

(٣) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١/ ٢٣٣)، تفسير الزمخشري (٣/ ١٣٢)، تفسير النيسابوري (٥/ ٤٧)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٢/ ٥٢٧)، تفسير أبي السعود (٦/ ٨٢).

المبحث الثاني: الحوت في القرآن الكريم

طعامٌ لموسى، وظُلمةٌ وسجن ليونس عليهما السلام، وابتلاء لأصحاب السبت

وردت كلمة (الحوت) في القرآن الكريم في خمسة مواضع، وهي:

١) قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (١).

٢) قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾(٢).

٣) قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾(٣).

٤) قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (٤).

٥) قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾(٥).

المطلب الأول: قصة الحوت مع يونس عليه السلام

ذُو النُّونِ: لَقَبُ يُونُسَ عليه الصلاةُ والسلامُ، وقد ذَكَرَه اللَّهُ تَعَالَى في كتابه وسَمَّاهُ كَذلكَ في القصة الثامنة من قصص الأنبياء المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(٦). وأما النون فهو الحوت.

وجاءت التسمية صريحة بـ(صاحب الحوت) عند قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾(٧).

وذُكرت قصة يونس عليه السلام أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾(٨).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٦١.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٦٣.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٤٢.

(٥) سورة القلم، الآية: ٤٨.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٧) سورة القلم، الآية: ٤٨.

(٨) سورة الصافات، الآيات: ١٣٩-١٤٨.

تُبَيِّنُ هذه الآيات أنَّ الله تعالى اختَصَّ يونسَ عليه السلام واجتباه بالرسالة، وأرسله إلى قومه في نِينَوى[1]، وهي مدينة بالعِراق[2]، كانت لها شهرتُها، وهي اليومَ أطلالٌ وآثار، وكان عددهم مائة ألف أو يزيدون، وكانوا يعبدون الأصنام، فدعاهم يونس عليه السلام إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، وقام فيهم مُبلغًا رسالة ربه، ومُجددًا لمعالِم التوحيد التي اندرستْ، رغَّبهم نوال ربهم إنْ تابوا ووحَّدوا، وأنذرهم عقابَه وبأسه إن كفروا وأشركوا، ولبث فيهم ناصحًا مُصلحًا ما شاء الله له أن يلبث.

فما كان موقف قومه إلا الإعراضَ والجفاء، فما كان منه عليه السلام إلا أن غَضِب لأجل ربه، أَنَفَة لدينه وبُغضًا للكفر وأهله، وغَاضَب قومه بمفارقته كي يخوّفهم حلول العقاب عليهم عندها، فغاية ما في الأمر أنَّ تلك المُغَاضبة ترك الأولى، وهو الصبر على مشاق الرسالة بعد أدائها إلى أن يأذن الله له في المهاجرة.

والأصل أنَّ كل نبي يمكث في مقر دعوته، حتى يؤذن له بالهجرة، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأبي بكر رضي الله عنه حينما يسأله عن موعد الهجرة: «عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي»' ثم أتى إلى أبي بكر بعدَ ذلك يبشِّره، ويقول له: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ» [3].

فخرج يونس عليه السلام من ديار قومه، وكان يعلم علم اليقين أنَّ ربَّه لن يُضيِّق عليه بسبب هذا الخروج ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[4]، وحين وَصَل شاطئ البحر وَجَد سفينةً فركب مع أهلها وقد ضاقت بهم كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[5]، فلما ثَقُلت بهم السفينة، وخافوا أن يغرقوا قرروا أن يُلقوا بأحدهم في الماء، فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس عليه السلام الذي خرج مُغاضبًا، وظنَّ أنَّ ربَّه لن يضيِّق عليه، فأُعيدت القرعة ثانية، فوقعتْ عليه،

---

(١) نِينَوَى: –بكسر أوله، وسكون ثانيه، وفتح النون والواو–: وهي قرية يونس بن متى، عليه السّلام، بالموصل، وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قُتِل بها الحسين، رضي الله عنه، وقيل: مدينة قديمة كانت عاصمة لدولة آشور، وقال ابن منظور: ونِينَوَى: اسْمُ قَرْيَةٍ مَعْرُوفَةٍ بِحذاء كَرْبلاء، تقع على الضفة اليُسرى لنهر دجْلة. انظر: معجم البلدان (٥/ ٣٣٩)،: لسان العرب (١٣/ ٤٣٠).

(٢) العراق: الجمهورية العراقية، عاصمتها بغداد، البلد المشهور، والعراقان: الكوفة والبصرة، قال أبو القاسم الزّجاجي: قال ابن الأعرابي سمي عراقًا لأنه سفل عن نجد ودنا من البحر، أخذ من عراق القربة وهو الخرز الذي في أسفلها، وقيل غير ذلك، وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٩٧%، جيرانها: الأردن وسوريا في الغرب، وتركيا في الشمال، وإيران في الشرق، والكويت والسعودية في الجنوب، وبها نهران هما دجلة والفرات. انظر: معجم البلدان (٤/ ٩٣)، معجم بلدان العالم (ص ٨٧).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٣٥١)، صحيح البخاري (٣/ ٩٨)، (٥/ ٥٨، ح ٣٩٠٥).

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٥) سورة الصافات، الآية: ١٤٠.

ثم أعيدت ثالثة، فوقعت عليه ؛ قال تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [1]؛ أي: من المغلوبين في القرعة.

فلما ألقوه في البحر التقمه حوتٌ عظيم، وروى أبو هريرة[2] مرفوعًا قال: أوحى الله تعالى إلى الحوت أنْ خُذه ولا تخدش له لحمًا[3]، ولا تكسر له عظمًا، فأخذه ثم أهوى به إلى مسكنه في البحر، فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حِسًا، فقال في نفسه: ما هذا؟، فأوحى الله إليه هذا تسبيح دواب البحر، قال: فَسَبَّحَ هو في بطن الحوت وقال: (لا إله إلا أنت سبحانك إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)، فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا: يا ربنا نسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة – وفي رواية صوتًا معروفًا من مكان مجهول–، فقال: ذلك عبدي يونس عصاني فَحَبَسْتُه في بطن الحوت، فقالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عَمَلٌ صَالِحٌ؟، قال: نعم فشفعوا له عند ذلك، فَأَمَرَ الحوت فقذفه في الساحل، فذلك قوله تعالى: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) [4] أي: مِنْ تلك الظلمات[5].

قوله تعالى: (فَنادى فِي الظُّلُماتِ): الفاء فصيحة، أي: فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى فِي (الظُّلُماتِ) جمع: ظلمة، وهي: ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت. وعليه فالجمع على ظاهره، وقيل: ابتلع حوتَه حوتٌ أكبر منه، فحصل في ظلمتي بطني الحوتين، وظلمتي البحر والليل [6]. ويدل التعبير على شدة الظُلمات، كما قيل:

---

(1) سورة الصافات، الآية: ١٤١.

(2) هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الصحابي الجليل، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزمه وواظب عليه رغبة في العلم، وكان من أحفظ الصحابة، قدم المدينة سنة ٧ هـ، وأسلم وشهد خيبر، (توفي سنة ٥٧ هـ). انظر: الإصابة (٣٤٨/٧)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٦٨)، أسد الغابة (٦/ ٣١٣)، معرفة الصحابة، لأبي نعيم (٤/ ١٨٤٦)، تاريخ دمشق، لابن عساكر (٦٧/ ٢٩٥)، تقريب التهذيب (٦٨٠/١)، تهذيب التهذيب (٢٦٢/١٢).

(3) خدَش الجِلْدَ: جرحه دون إسالة دَمٍ، جرحَه ظاهريًّا، وخدَش الجِلْدَ: أكثر من جرحِه دون إسالة دَمٍ. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٦١٨، ٦١٩).

(4) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٥١٨) من حديث أبي هريرة، وفي إسناده راو لم يُسَمَّ، والأشبه فيه الوقف، والله أعلم. والبزار في مسنده (١٥/ ٣٤،ح ٨٢٢٧) وقال: وهذا الحديث لا نعلمه يُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد. قال الهيثمي: رواه البزار عن بعض أصحابه ولم يُسَمِّه، وفيه: ابن إسحاق وهو مدلس، وبقية رجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ٩٨). تفسير القرطبي (١٥/ ١٢٣)، تفسير الرازي (٢٢/ ١٨١)، الدر المنثور (٧/ ١٢٣)، تفسير الثعلبي (٦/ ٣٠٣).

(5) انظر: تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٢٤١).

(6) قال الفراء: ظلمة البحر، وبطن الحوت ومِعَاها، الذي كان فيه يونس فتلك الظلمات. انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٠٩)، تفسير الألوسي، روح المعاني (٩/ ٨٠)، تفسير الزمخشري (٣/ ١٣٢)، تفسير النيسابوري (٥/ ٤٧)، تفسير أبي السعود (٦/ ٨٢).

وَلَيْلٍ يَقُولُ القَوْمُ مِنْ ظُلُمَاتِهِ... سَوَاءٌ بَصِيرَاتُ الْعُيُونِ وَعُورُهَا [1]

فنجاه الله تعالى برحمته من بطن الحوت فقال: (وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) أي: الذي نالـه حين التقمه الحوت، بأنْ قَذَفه إلى الساحل بعد ساعات، واختلف المفسرون في مدة بقائه في بطن الحوت، فقيل: التقمه ضحىً ولفظه عشية، وقيل: بقي في بطنـه ثلاثـة أيـام، وقيل: سبعة، وقيل: أنه بقي أربعين يومًا[2].

قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ) أي: مثل ذلك الإنْجَاء الكامل (نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) مِـنْ غمـوم دَعَوُا الله فيها بالإخلاص، لا إنجاءً أدنى منه[3].

وفي هذه القصة من المعجزات:

كما أشرنا في خصائص الحوت أنَّ الله تبارك وتعالى قال: (فَالْتَقَمَهُ الحُـوتُ) [4] ولم يقل: «ابتلعه» أو «هضمه». وقد قال علماء الحيوان: أنَّ لسان الحوت يـستطيع أنْ يقف عليه خمسون رجلاً بدون أي مضايقة وفم الحوت مُغلق، بمعنى أن سـيدنا يـونس كان جالسًا بما يشبه الغرفة الواسعة، كما أنَّ قوله: (فالتقمه) يدل على أن هذا الحوت لم يكن له أسنان، وأنه امتثل لأمر الله تعالى بأن لا يؤذي نبي الله يـونس عليـه الـسلام. وقَوْلُهُ تَعَالَى: (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ)[5] يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ إِطْلَاقِ الْحُوتِ عَلَى السَّمَكَةِ الْكَبِيرَةِ لَـا عَلَى حَصْرِ مُسَمَّى الْحُوتِ فِيهَا[6].

المطلب الثاني: قصة الحوت مع موسى عليه السلام

وقد ذُكِرَ (الحوت) في هذه القصة مرتين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَـا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [7]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَـى

(١) المعنى: أنه يستوي في ظلمة الليل صحيح البصر وضعيفه، وذلك لأن الصحيح لا يبصر فيه إلا بصرًا ضعيفًا من ظُلْمته.
والبيت من الطويل، وهو للأعشى في ديوانه (ص ٣٧٣) القصيدة (٨٢) البيت (٢٣)، وورد بلفـظ: (يقـول المـرء فـي ظلماتـه.. سـواء صحيحات..)، ونسبه البغدادي في: خزانة الأدب (٥/ ١٨) لمضرس بن ربعي، في الشَّاهِد الرَّابِع وَالثَّلَاثين بعـد الثلاثمائـة، وكـذلك الحـسن العسكري في ديوان المعاني (١/ ٣٤٣) وقال: قالوا منْ أبلغ ما قيل في ظلمة الليل قول مضرس ابن ربعي... وساق البيت، وانظر: أمالي ابـن الشجري (المقدمة/ ٣٤)، تفسير القرطبي (١/ ١٨٤)، البحر المحيط (١/ ٧٥)، الدر المصون (١/ ١٠٧). وبلا نسبة في: لـسان العـرب (٢/ ٣٠٢)، تاج العروس (٦/ ٥٠)، شرح التسهيل لابن مالك (١/ ٣٠٦)، شرح كتاب سيبويه (٢/ ٣٥٤). ونسبه الألوسي في روح المعـاني (٩/ ٨٠) إلى السيرافي، وكذلك الطيبي في حاشيته على الكشاف (٣٩٢/١٠).
(٢) انظر هذه الأقوال في: تفسير الماوردي، النكت والعيون (٥/ ٦٨)، زاد المسير (٣/ ٥٥٣)، تفسير الألوسي، روح المعاني (٩/ ٨١).
(٣) انظر: تفسير أبي السعود (٦/ ٨٣).
(٤) سورة الصافات، الآية: ١٤٢.
(٥) سورة الصافات، الآية: ١٤٢.
(٦) انظر: مختار الصحاح (ص: ٨٤).
(٧) سورة الكهف، الآية: ٦١.

الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾[1].

وقد ورد في الصحيحين عن أُبَيٍّ بْنُ كَعْب[2]: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟، فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ؟، قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا (وفي رواية: خُذْ نُونًا مَيِّتًا) فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَنَامَا، وَاضْطَرَبَ الحُوتُ فِي المِكْتَلِ، فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ فِي البَحْرِ، (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا)[3]، وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الحُوتِ جِرْيَةَ المَاءِ، فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلَ الطَّاقِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ صَاحِبُهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالحُوتِ، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتَهُمَا حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الغَدِ قَالَ مُوسَى (لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) [4]، قَالَ: وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَا المَكَانَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَبًا) [5]، قَالَ: فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَلِمُوسَى وَلِفَتَاهُ عَجَبًا، فَقَالَ مُوسَى: (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) [6]، قَالَ: رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى ثَوْبًا[7] فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ الخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ

---

(1) سورة الكهف، الآية: ٦٣.

(2) هو: أُبَيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر ويقال أبو الطفيل المدني، الصحابي، (توفي بالمدينة سنة ١٩ هـ وقيل ٣٢ هـ)، وقيل غير ذلك، سيد القراء بالاستحقاق وأقرأ هذه الأمة على الإطلاق، عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن قال: الله سماني لك ؟! قال: نعم الله سماك لي، قال: فجعل أُبَيّ يبكى». انظر: أسد الغابة (١/ ١٦٨)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٣١)، سير أعلام النبلاء (١/ ٣٨٩)، الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٨٠)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٦٥).

(3) سورة الكهف، الآية: ٦١. قال الرازي في: مختار الصحاح (ص: ١٤٥): (السَّرَبُ) بِفَتْحَتَيْنِ بَيْتٌ فِي الْأَرْضِ، وَ(انْسَرَبَ) الْحَيَوَانُ وَ(تَسَرَّبَ) دَخَلَ فِيهِ. قُلْتُ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا).

(4) سورة الكهف، الآية: ٦٢.

(5) سورة الكهف، الآية: ٦٣.

(6) سورة الكهف، الآية: ٦٤.

(7) أَيْ: مَدَّ عَلَيْهِ ثَوْبًا. انظر: مختار الصحاح (ص: ١٤٣).

السَّلاَمُ[1]، قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا.. » الحديث[2].

وقوله: «خُذْ نُوناً مَيّتا»، أي: حُوتًا[3].

وفائدة الحوت هنا في هذه القصة أنه كان طعامًا لموسى على السلام في رحلته في طلب العلم، كما في بعض روايات الْحَدِيثِ السابق: «أَنَّهَا كَانَتْ سَمَكَةً فِي مِكْتَلٍ». وَمَا ظَنُّكَ بِزَوَّادَةِ اثْنَيْنِ خُصُوصًا مُوسَى وَصَاحِبَهُ؟! [4].

المطلب الثالث: قصة الحوت مع أصحاب السبت

حيث أنه كان آية في ابتلائهم لَمَّا لَمْ يمتثلوا لأمر الله تعالى، وقد ذُكِرَ (الحوت) في هذه القصة في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[5].

وأصحاب السبت من أسلاف اليهود كانوا يسكنون قرية تُطل على البحر، وقد أخذ عليهم العهد والميثاق ألا يصطادوا في يوم السبت وأن يتفرغوا لعبادة الله تعالى، ثم ابتلاهم الله تعالى (إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ)، فتظهر لهم الحيتان في يوم السبت على سطح الماء، لا تحتاج في صيدها إلى كبير عناء، وتختفي عنهم بقية الأيام، فتعدى بعضهم واستعمل أنواع الحيلة على أوامر الشرع، فحفروا الأحواض لتناسب إليها الحيتان في يوم السبت، وتحبس فيها ليلتقطوها بعد ذلك في يوم الأحد، فاعتدى ذلك الفريق على حدود الله، فوعظهم فريق من أهل القرية ونصحوهم، ووقف فريق ثالث موقفاً سلبياً، فنجى الله تعالى من نهى عن السوء

---

(1) قوله: (وأنى بأرضك السلام) أي: أنت جئت من عند الفراعنة وأنى بأرضك السلام؟، أو: من أين بأرضك السَّلَام، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ فعلم الخضر أن موسى أتى بتحية المسلمين، فلذلك تعجب كيف يأتي من عند الفراعنة ويحمل هذه التحية، وهذا أسلوب الحكيم: هو عبارة عن ذكر الأهم تعريضًا للمتكلم على تركه الأهم، فقد أنكر الخضر السلامة؛ لأن السلام لم يكن معهودًا في تلك الأرض. وإجابة موسى عليها السلام معناها: أجبت عن اللائق بك وهو أن تستفهم عني لا عن سلامي بأرضي. انظر: التعريفات، للجرجاني (ص: ٢٣).

(2) رواه البخاري بنصه، وروى بعض أطرافه في صحيحه بروايات مختلفة (٦/ ٨٨، ح ٤٧٢٥)، (٦/ ٨٩، ح ٤٧٢٦)، (٦/ ٩١، ح ٤٧٢٧)، (٨/ ١٣٦، ح ٦٦٧٢)، (٩/ ١٤٠، ح ٧٤٧٨)، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٤٧، ح ١٧٠-٢٣٨٠)، (٤/ ١٨٥٠، ح ١٧٢ - ٢٣٨٠)، (٤/ ١٨٥٢، ح ١٧٤ -٢٣٨٠)، (٤/ ٢٠٥٠، ح ٢٩ -٢٦٦١). وانظر: تفسير الطبري، (١٨/ ٥٧)، تفسير القرطبي (١١/ ١٢)، تفسير الزمخشري (٢/ ٧٣١)، تفسير البغوي (٣/ ٢٠٢).

(3) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٣١) .

(4) انظر: مختار الصحاح (ص: ٨٣)، مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٢٥٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٢٤٧).

(5) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

والمنكر، وأهلك الفريقين الآخرين من الظالمين، والساكتين عن قول الحق، وهكذا الحال في كل أمة شاع فيها الفساد، وقد ورد في تفسير الطبري ما نصه: أنَّ اليهود قالت لموسى – حين أمرهم بالجمعة، وأخبرهم بفضلها –: يا موسى، كيف تأمرنا بالجمعة وتفضلها على الأيام كلها، والسبت أفضل الأيام كلها، لأنَّ الله خلق السموات والأرض والأقوات في ستة أيام، وسبت له كل شيء مطيعا يوم السبت[1]، وكان آخر الستة؟، قال: وكذلك قالت النصارى لعيسى ابن مريم – حين أمرهم بالجمعة – قالوا له: كيف تأمرنا بالجمعة وأول الأيام أفضلها وسيدها، والأول أفضل، والله واحد، والواحد الأول أفضل؟ فأوحى الله إلى عيسى: أن دعهم والأحد، ولكن ليفعلوا فيه كذا وكذا. – مما أمرهم به. فلم يفعلوا، فقص الله تعالى قصصهم في الكتاب بمعصيتهم. قال: وكذلك قال الله لموسى – حين قالت له اليهود ما قالوا في أمر السبت –: أن دعهم والسبت، فلا يصيدوا فيه سمكًا ولا غيره، ولا يعملوا شيئًا كما قالوا. قال: فكان إذا كان السبت ظهرت الحيتان على الماء، فهو قوله: (إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا) [2]، يقول: ظاهرة على الماء، ذلك لمعصيتهم موسى – وإذا كان غير يوم السبت، صارت صيدا كسائر الأيام فهو قوله: (وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ) [3]. ففعلت الحيتان ذلك ما شاء الله. فلما رأوها كذلك، طمعوا في أخذها وخافوا العقوبة، فتناول بعضهم منها فلم تمتنع عليه، وحذر العقوبة التي حذرهم موسى من الله تعالى. فلما رأوا أن العقوبة لا تحل بهم عادوا، وأخبر بعضهم بعضًا بأنهم قد أخذوا السمك ولم يُصبهم شيء، فكثَّروا في ذلك، وظنوا أنَّ ما قال لهم موسى كان باطلا. وهو قول الله جل ثناؤه: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) [4] –يقول: لهؤلاء الذين صادوا السمك – فمسخهم الله قردة بمعصيتهم[5].

والحوت في هذه القصة يمثل الرزق المطلوب والخير المرغوب الذي جعله الله ابتلاء لهؤلاء الناس.

---

(1) سبت: سكن، وقولهم: «سبت له»، يريدون: خشع له وانقطع عن كل عمل إلا عبادته سبحانه، وأصل «السبت» الهدوّ والسكون في راحة ودعة، ولذلك قيل للنائم: «مسبوت» لهدوّه وسكون جسده واستراحته، كما قال جل ثناؤه: (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا) [النبأ: ٩] أي راحة لأجسادكم. وهو مصدر من قول القائل: «سبت فلان يسبت سبتًا». وقد قيل: إنه سمي «سبتا»، لأن الله جل ثناؤه فرغ يوم الجمعة – وهو اليوم الذي قبله – من خلق جميع خلقه. انظر: تفسير الطبري (٢/ ١٧٤).

(2) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

(3) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

(4) سورة البقرة، الآية: ٦٥.

(5) رواه ابن جرير في تفسيره (٢/ ١٦٨) عن ابن عباس، وانظر: تفسير البغوي (١/ ١٢٦)، تفسير الزمخشري (١/ ١٤٧).

وهنا يظهر امتثال الحيتان لأمر الله تعالى، حيث أنها كانت تتحرك بأمر الله، حيث أمرها ألا تذهب للسواحل أيام عمل الصيادين الكفار من بنى إسرائيل، وأمرها أن تذهب للسواحل وتكون ظاهرة أمام الناس فى يوم السبت، وهو يوم العطلة المُحَرَّم فيها العمل بالصيد وغيره.

المطلب الرابع: امتنان الله تعالى أن جعل الحوت غذاءً لبني آدم ويسر لهم أكله

ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا﴾ يَعْنِي: السَّمَكَ[4].

قوله عز وجل: (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ) أي: ذلّل لكم البحر. ويقال: ذلل لكم ما في البحر (لِتَأْكُلُوا مِنْهُ) أي: من البحر (لَحْماً طَرِيًّا) أي: السمك الطري، (وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ) يعني: من البحر (حِلْيَةً تَلْبَسُونَها) [5].

قوله تعالى: (لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) يحتمل وجهين[6]:

أحدهما: بالتجارة فيه.

الثاني: بما تستخرجون من حليته ، وتأكلونه من لحومه.

وقوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ الآية تعديد نعم، وتسخير البحر هو تمكين البشر من التصرف فيه وتذليله للركوب والإرفاق وغيره، و(الْبَحْرَ) الماء الكثير ملحًا كان أو عذبًا، كله يسمى بحرًا، و(الْبَحْرَ) هنا اسم جنس، وإذا كان كذلك فمنه «أكل اللحم

(1) سورة النحل، الآية: ١٤.

(2) سورة فاطر، الآية: ١٢.

(3) سورة المائدة، الآية: ٩٦.

(4) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٧٤).

(5) انظر: تفسير السمرقندي، بحر العلوم (٢/ ٢٦٨).

(6) انظر: تفسير الماوردي، النكت والعيون (٣/ ١٨٢).

الطري» ومنه «استخراج الحلية»، و«أكل اللحم» يكون من ملحه وعذبه، وإخراج الحلية إنما يكون فيما عرف من الملح فقط[1].

مسائل تتعلق بهذا المطلب:

- الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: لَا مَفْهُومَ مُخَالَفَةَ لِقَوْلِه: (لَحْمًا طَرِيًّا)، فَلَا يُقَالُ: يُفْهَمُ مِنَ التَّقْيِيدِ بِكَوْنِه طَرِيًّا أَنَّ الْيَابِسَ كَالْقَدِيدِ مِمَّا فِي الْبَحْرِ لَا يَجُوزُ أَكْلُهُ ؛ بَلْ يَجُوزُ أَكْلُ الْقَدِيدِ مِمَّا فِي الْبَحْرِ. وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ: أَنَّ مِنْ مَوَانِعِ اعْتِبَارِ مَفْهُومِ الْمُخَالَفَةِ كَوْنَ النَّصِّ مَسُوقًا لِلِامْتِنَانِ ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا قَيَّدَ بِالطَّرِيِّ ؛ لِأَنَّهُ أَحْسَنُ مِنْ غَيْرِهِ فَالِامْتِنَانُ بِهِ أَتَمُّ.

وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا صَاحِبُ مَرَاقِي السُّعُودِ، بِقَوْلِهِ عَاطِفًا عَلَى مَوَانِعِ اعْتِبَارِ مَفْهُومِ الْمُخَالَفَةِ:

أَوِ امْتِنَانٌ أَوْ وِفَاقُ الْوَاقِعِ... وَالْجَهْلُ وَالتَّأْكِيدُ عِنْدَ السَّامِعِ[2]

وَمَحَلُّ الشَّاهِدِ قَوْلُهُ: «أَوِ امْتِنَانٌ».

- الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: اعْلَمْ أَنَّ عُلَمَاءَ الْمَالِكِيَّةِ قَدْ أَخَذُوا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ لُحُومَ مَا فِي الْبَحْرِ كُلِّهَا جِنْسٌ وَاحِدٌ ؛ فَلَا يَجُوزُ التَّفَاضُلُ بَيْنَهَا فِي الْبَيْعِ، وَلَا بَيْعُ طَرِيِّهَا بِيَابِسِهَا ؛ لِأَنَّهَا جِنْسٌ وَاحِدٌ[3]. قَالُوا: لِأَنَّ اللَّهَ عَبَّرَ عَنْ جَمِيعِهَا بِلَفْظٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا)، وَهُوَ شَامِلٌ لِمَا فِي الْبَحْرِ كُلِّهِ[4].

ومن لطائف الإشارات في هذا المطلب:

سخر اللهُ تعالى البحرَ للإنسان فى الظاهر، وسهّل ركوبه فى الفلك، ويسّر الانتفاع بما يستخرج منه من الحلىّ كاللؤلؤ والدّرّ، وما يقتات به من السمك وحيوان البحر.

ومن وجوه المعاني خلق صنوفاً من البحر، فقوم غرقى فى بحار الشغل وآخرون فى بحار الحزن، وآخرون فى بحار اللهو.. فالسلامة من بحر الشغل فى ركوب سفينة التوكل، والنجاة من بحر الحزن فى ركوب سفينة الرضا، والسلامة من بحر اللهو من ركوب سفينة الذكر[5].

---

(1) انظر: تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٣٨٣).

(2) انظر: نشر البنود على مراقي السعود (١/ ٩٩).

(3) انظر: عيون المسائل، للقاضي عبد الوهاب المالكي (ص: ٤٠٤).

(4) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٣٤٤).

(5) انظر: لطائف الإشارات، تفسير القشيري (٢/ ٢٨٩).

المبحث الثالث: الحوت في الأحاديث النبوية

وردت كلمة (الحوت) في الأحاديث النبوية الواردة عن خير البرية صلى الله عليه وسلم باللفظ الصريح (الحوت)، وبلفظ (النون)، وبلفظ (العنبر)، وبيانها:

١) في قصة موسى عليه السلام والخضر:

كما في الصحيحين عن أُبَيّ بْنَ كَعْب[١] قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟، فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، قَالَ: فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ؟، فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ...»' وفي رواية: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ؟، قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا (وفي رواية: خُذْ نُونًا مَيِّتًا) فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ.. » الحديث[٢].

٢) وفي حديث جيش الخبط[٣]:

وعن جَابِر[٤] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَعَثَنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيْشٍ، فَجُعْنَا جُوعًا شَدِيدًا، فَأَلْقَى البَحْرُ حُوتًا مَيِّتًا لَمْ نَرَ مِثْلَهُ، يُقَالُ لَهُ العَنْبَرُ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ، فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَظْمًا مِنْ عِظَامِه، فَمَرَّ الرَّاكِبُ تَحْتَهُ فَأَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا، يَقُولُ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: كُلُوا، فَلَمَّا ذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «كُلُوا، رِزْقًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ، أَطْعِمُونَا إِنْ كَانَ مَعَكُمْ» فَأَتَاهُ بَعْضُهُمْ فَأَكَلَهُ[٥].

وفي رواية: قَالَ: وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرَ، قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قَالَ: لَا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي سَبِيلِ الله، وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا، قَالَ: فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا وَنَحْنُ ثَلَاثُ مِائَةٍ حَتَّى سَمِنَّا.. فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ

---

(١) سبقت ترجمته، انظر: (ص: ٢٢٩٧) من هذا البحث.

(٢) سبق تخريجه، انظر: (ص: ٢٢٩٨) من هذا البحث.

(٣) الخَبْطُ: ضَرْبُ وَرَقِ الشَّجَرِ حتَّى يَنْحاتَّ عَنهُ، ثمَّ يَستَخْلِف من غير أَنْ يَضُرَّ ذَلِك بأَصل الشَّجَرَة وأَغْصانها. وَقَالَ اللَّيْثُ: الخَبْطُ: خَبْطُ وَرَقِ العِضاهِ من الطَّلْحِ ونحوِه يُخْبَطُ بالعَصا فيَتَناثَرُ ثمَّ يُعْلَفُ الإِبلَ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي عُبَيْدَةَ: خَرَجَ فِي سَرِيَّةٍ إِلَى أَرض جُهَينَةَ فأَصابهم جُوعٌ فأَكلوا الخَبَطَ فسُمُّوا جيشَ الخَبَطِ. انظر: تاج العروس (١٩/ ٢٢٩)، لسان العرب (٧/ ٢٨٢).

(٤) سبقت ترجمته، انظر: (ص: ٢٢٨٨) من هذا البحث.

(٥) سبق تخريجه، انظر: (ص: ٢٢٨٩) من هذا البحث.

لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟»، قَالَ: فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ فَأَكَلَهُ[1].

٣) وذُكِر في حديث طعام أهل الجنة:

وفي صحيح مسلم أن يهوديًا جاء للنبي صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ» قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ» قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ»، قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: «يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا» قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ[2].

وفي رواية: قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: إِدَامُهُمْ بَالَامُ وَنُونٌ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: «ثَوْرٌ وَنُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا»[3].

٤) وذُكِر في حديث فضل طلب العلم:

قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[4].

٥) وذُكِر في حديث فضل العالم:

قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْبَحْرِ»[5].

([1]) صحيح مسلم (٣/ ١٥٣٥، ح ١٧ – (١٩٣٥)، وسبق تخريجه (ص: ٢٢٨٩) من هذا البحث.

([2]) صحيح مسلم (١/ ٢٥٢، ح ٣٤ – (٣١٥).

([3]) صحيح مسلم (٤/ ٢١٥١، ح ٣٠ – (٢٧٩٢)

([4]) سبق تخريجه، انظر: (ص: ٢٢٩٢) من هذا البحث.

([5]) سبق تخريجه، انظر: (ص: ٢٢٩١) من هذا البحث.

عَنِ ابْنِ عَبَّاس[1] قَالَ: «مُعَلِّمُ الْخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ»، وفي رواية: «إِنَّ مُعَلِّمَ الْخَيْرِ لِتُصَلِّي عَلَيْهِ دَوَابُّ الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ»[2].

٦) وذُكر في قصة يونس عليه السلام ودعائه:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، إِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ بِهَا»[3].

وروى أبو هريرة[4] مرفوعًا قال: «أوحى الله تعالى إلى الحوت أنْ خُذه ولا تخدش له لحمًا، ولا تكسر له عظمًا.. »[5].

٧) وذُكر في حديث أنه من الميتة الحلال أكلها:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ[6] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ، وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ: فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ: فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ»[7].

عَنْ جَابِرٍ[8] رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْجَرَادَ نَثْرَةُ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ»[9].

---

(1) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ؛ حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، وترجمان القرآن، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم،ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، سمع كثيرًا من الأحاديث، ودعا له رسول الله بالفقه في الدين وعلم التأويل، توفي سنة ثمان أو سبع وستين، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير (٣/ ٢٩١)، الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (١٢١/٤)، معرفة الصحابة، لأبي نعيم (٣/ ١٦٩٩)، سير أعلام النبلاء، للذهبي (٣/ ٣٣١)، تهذيب التهذيب، لابن حجر (٢٧٦/٥)، مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان (ص٢٨).

(2) الحديث مروي في: مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٢٨٤، ح ٢٦١١٣)، جامع معمر بن راشد (١١/ ٤٦٩، ح٢١٠٣٠)، سنن الدارمي (١/ ٣٦٣، ح ٣٥٥)، جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٧١، ح ١٨٠)، إسناده جيد، وهو موقوف على ابن عباس، وقال الألباني في تحقيق كتاب: العلم، لزهير بن حرب (ص: ٧) الألباني: صحيح مرفوعًا.

(3) الحديث مروي في: مسند أحمد (١٠/ ١٦)، سنن الترمذي (٥/ ٥٢٩، ح ٣٥٠٥)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٦٨٤، ح ١٨٦٢)، (٦٨٥/١، ح ١٨٦٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. مسند البزار، البحر الزخار (٣/ ٣٦٣، ح ١١٦٣)، رجاله ثقات، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٣٢٥، ح ١٧٤٤)، صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٥٠٨، ح٢٦٠٥)، (١/ ٦٣٧، ح ٣٣٨٣).

(4) سبقت ترجمته، انظر: (ص: ٢٢٩٥) من هذا البحث.

(5) الأثر سبق تخريجه (ص ٢٢٩٥) من هذا البحث، و انظر: تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٢٤١).

(6) سبقت ترجمته، انظر: (ص: ٢٢٨٧) من هذا البحث.

(7) سبق تخريجه، انظر: (ص: ٢٢٨٥) من هذا البحث.

(8) سبقت ترجمته، انظر: (ص: ٢٢٨٨) من هذا البحث.

(9) الحديث في سنن ابن ماجة (٢/ ١٠٧٣، ح ٣٢٢١)، قال محمد فؤاد عبد الباقي: قال الدميري: هو مما انفرد به المصنف ولم يذكره صاحب الزوائد، وقال الألباني: موضوع. والحديث إسناده ضعيف جدًا، ومتنه منكر جدًا، وفيه: موسى بن محمَّد بن إبراهيم التيمي منكر الحديث، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٣٦١)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٥٠٢)، تاريخ بغداد وذيوله (٨/ ٤٨٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٤)، والمزي في تهذيب الكمال (٩/ ٤٩١) في ترجمة: زياد بن عبد الله بن علاثة، من طريق هاشم بن القاسم، وابن الجوزي في اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٢/ ١٩٧)، وابن عراق في: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (٢/ ٢٥٢).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْأَرَضِينَ بَيْنَ كُلِّ أَرْضٍ وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسمِائَةِ عَامٍ مِنْهَا عَلَى ظَهْرِ حُوتٍ قَدِ الْتَقَى طَرَفَاهُ فِي السَّمَاءِ، وَالْحُوتُ عَلَى صَخْرَةٍ وَالصَّخْرَةُ بِيَدِ مَلَكٍ»[1].

ومن الآثار التي ورد فيها ذكر الحوت:

١) قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: «الْحُوتُ ذُكِّيَ كُلُّهُ ، وَالْجَرَادُ ذُكِّيَ كُلُّهُ»[2].

٢) عن مجاهد[3] قال: «نظرت إلى الركن حين نقض ابن الزبير[4] رضي الله عنهما البيت، فإذا كل شيء منه داخل البيت أبيض مثل الحوت، وإنَّما اسود ما ظهر منه لأنّ المشركين كانوا يلطخونه بالدم في الجاهلية، وأنَّه سيرد إلى الجنة، وأنَّه سيجعل له لسان حتى يشهد لمن استلمه لله عز وجل»[5].

---

(1) رواه ابن منده في التوحيد (١/ ١٨٦-١٨٧، رقم ٥٩)، وقال: هَذَا إِسْنَادٌ مُتَّصِلٌ مَشْهُورٌ عِنْدَ الْمِصْرِيِّينِ، وَعِيسَى بْنُ هِلَالٍ رَوَى عَنْهُ كَعْبُ بْنُ عَلْقَمَةَ، وَعَيَّاشُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَيَّاشٍ مَشْهُورَانِ. وَدَرَّاجٌ هُوَ ابْنُ سَمْعَانَ، اسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عُمَرَ، وَابْنُ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيُّ رَوَى عَنْهُ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ وَاللَّيْثُ وَجَمَاعَةٌ قَالَهُ لِي أَبُو سَعِيدِ بْنُ يُونُسَ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى. ورواه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٥٧، ح ٥٥٧٨) عن عبد الله بن عمرو، وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ٤٤٨): منكر. ورواه ابن رجب في التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص: ١٣٦-١٣٧) وقال: قال بعض الحفاظ المتأخرين: وهو حديث منكر، وعبد الله بن عياش القتباني ضعفه أبو داود، وعند مسلم أنه ثقة، ودراج كثير المناكير، والله أعلم. قلت: رفعه منكر جداً، ولعله موقوف، وغلط بعضهم فرفعه. ورواه ابن أبي حاتم في التفسير (٧/ ٢٤١٦)، رقم ١٣٣٨٥)، ورواه الحاكم في المستدرك على (٤/ ٦٣٦، ح ٨٧٥٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو السَّمْحِ، عَنْ عِيسَى بْنِ هِلَالٍ وَقَدْ ذَكَرْتُ فِيمَا تَقَدَّمَ عَدَالَتَهُ بِنَصِّ الْإِمَامِ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، قال الذهبي في التلخيص (٨٧٥٦): بل منكر. وضعفه بعضهم بهذا الإسناد لما تقدم عن حال عبد الله القتباني، وعبد الله الطويل، وأما درَّاج فلا يُعَلُّ به الحديث؛ لأن روايته هنا ليست من الطريق المنتقدة عليه، وقد قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٧٤): هذا حديث غريب جدًا ورفعه فيه نظر. ورجح وقفه على عبد الله بن عمرو، على أنه من الإسرائيليات. وانظر: مختصر تلخيص الذهبي،لابن الملقن (٧/ ٣٥٥٤).

(2) رواه الدارقطني في السنن (٥/ ٤٨٨، رقم ٤٧٢٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٢٤٧، رقم ١٩٧٤١)، قال ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٦١٦)، والشوكاني في نيل الأوطار (٨/ ١٧٠): وأخرج عبد الرزاق بسندين جيدين عن عمر، ثم عن علي: «الحوت ذكي كله».

(3) هو: مجاهد بن جبر ؛ أبو الحجاج ؛ المخزومي، ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، من أئمة التابعين، مات وهو ساجد، (سنة ١٠٣هـ). انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٤١)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩)، إكمال تهذيب الكمال (١١/ ٧٦)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٢).

(4) هو: عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي ؛ أمير المؤمنين، أبو بكر، وأبو خبيب القرشي، الأسدي، المكي، ثم المدني، أحد الأعلام، ولد الحواري الإمام أبي عبد الله، ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه، كان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة، وكان من خطباء قريش المعدودين، وفارس قريش في زمنه، بويع له بمكة سنة أربع وستين، وبنى ابن الزبير الكعبة وأدخل فيها الحجر، قتله الحجاج سنة (٧٣هـ). انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٧٨)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٦٣)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٨/ ١٤٠)، وفيات الأعيان (٣/ ٧١)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٠٥).

(5) انظر: أخبار مكة للفاكهي (١/ ٩٢، رقم ٢٧). وقوله: «له لسان يشهد لمن استلمه» جزء من حديث رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٢٢٠، ح٢٩٧١) عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَشْهِدُوا هَذَا الْحَجَرَ= =خَيْرًا ؛ فَإِنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ لَهُ لِسَانٌ وَشَفَتَانِ، يَشْهَدُ لِمَنِ اسْتَلَمَهُ»، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ٢٤٢، ح

٣) عن ابْنِ عَبَّاسٍ[١] قَالَ: «أَحَبُّ كَلِمَةٍ إِلَى اللهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَا يَقْبَلُ عَمَلًا إِلَّا بِهَا، وَهِيَ الْمُنْجِيَةُ. وَالثَّانِيَةُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَهِيَ صَلَاةُ الْخَلْقِ. وَالثَّالِثَةُ: الْحَمْدُ للَّهِ، كَلِمَةُ الشُّكْرِ وَالرَّابِعَةُ: اللهُ أَكْبَرُ؛ فَوَاتِحُ الصَّلَوَاتِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ. وَالْخَامِسَةُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ وَأَمَّا أَكْرَمُ عِبَادِ اللهِ عَلَيْهِ؛ فَآدَمُ، خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ وَعَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَأَكْرَمُ إِمَائِهِ عِنْدَهُ مَرْيَمُ؛ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا..... وَالْقَبْرُ الَّذِي سَارَ بِصَاحِبِهِ؛ فَقَبْرُ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فِي بَطْنِ الْحُوتِ»[٢].

٤) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[٣] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الْقَلَمُ وَالْحُوتُ قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: كُلَّ شَيْءٍ كَانَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: (ن وَالْقَلَمِ). فَالنُّونُ: الْحُوتُ، وَالْقَلَمُ: الْقَلَمُ[٤]. وفي رواية عنه في تفسير قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [٥]قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ وَقَالَ: اجْرِ كَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى الْحُوتِ وَهُوَ النُّونُ»[٦].

٥٤٨٧): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ الْوَلِيدُ بْنُ عِيَّادٍ، وَهُوَ مَجْهُولٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ. ورواه أحمد في المسند (١١/ ٥٦٠، ح ٦٩٧٨) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْتِي الرُّكْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مِنْ أَبِي قُبَيْسٍ، لَهُ لِسَانٌ وَشَفَتَانِ» قال الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف عبد الله بن المؤمل، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح. ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٢٢١، ح ٢٧٣٧)، قال الألباني: إسناده ضعيف عبدالله ابن المؤمل ضعيف. ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٦٢٧، ح١٦٨١) وله شاهد يتقوى به دون قوله: «وهو يمين الله التي يُصافح بها خلقه»، من حديث ابن عباس بإسناد صحيح على شرط مسلم عند ابن حبان في صحيحه (٩/ ٢٥، ح٣٧١١)، وعند أحمد في المسند (٤/ ٢٢٦، ح٢٣٩٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِهَذَا الْحَجَرِ لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، يَشْهَدُ لِمَنِ اسْتَلَمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَقٍّ».

(١) سبقت ترجمته، انظر: (ص: ٢٣٠٤) من هذا البحث.

(٢) رواه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم، (٣/ ١٩٥-١٩٦، رقم ٨٣٧) قال المحقق مشهور حسن: وإسناده ضعيف جدًا، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٣/ ٢٠٠)، وانظر: مختصر تاريخ دمشق (١٢/ ٣١٦).

(٣) سبقت ترجمته، انظر: (ص: ٢٣٠٤) من هذا البحث.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٤٣٣، ح ١٢٢٢٧)، وقال: لَمْ يَرْفَعْهُ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ إِلَّا مُؤَمَّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، والبيهقي في القضاء والقدر (ص: ٢١١، ح ٢٤٢) ووقفه على ابن عباس. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ١٢٨، ح ١١٤٣٤) قُلْتُ: وَمُؤَمَّلٌ ثِقَةٌ كَثِيرُ الْخَطَأِ، وَقَدْ وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ وَغَيْرُهُ، وَضَعَّفَهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ. ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٤٠، ح ٣٨٤٠) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، قال الذهبي في التلخيص (٣٨٤٠) على شرط البخاري ومسلم. ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٢٥٩، ح ٣٥٨٧٣،٣٥٨٧٤)، (٧/ ٢٧١، ح ٣٦٠٠٣)، وعبد الرزاق في التفسير (٣/ ٣٢٩، ح٣٢٧٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٤، ح١٧٧٠٣)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٤/ ١٣٨٠)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٣/ ٣٣٦، ح ١٣٦٧)، والآجري في الشريعة (٢/ ٧٦٩، ح ٣٤٩).

(٥) سورة القلم، الآية: ١.

(٦) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٣/ ٣٣٦-٣٣٧، رقم ١٣٦٧)، وانظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥٢١)، تفسير الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٣٩٨)، تفسير ابن عطية (٥/ ٣٤٥)، تفسير البغوي (٥/ ١٢٩)، وانظر: التخريج السابق الحاشية رقم (٩) ص (٢٣٠٥) من هذا البحث.

٥) عن وَهْب بْن مُنَبِّه[١] رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قال: «إِنَّهَا سَبْعَةُ أَبْحُرٍ، وَسَبْعُ أَرَضِينَ، وَالْأَرْضُ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا الْوُسْطَى، وَالْبَحْرُ حَوْلَهَا، وَأَرْضٌ أُخْرَى حَوْلَ الْبَحْرِ، وَيَخْرُجُونَ إِلَيْهَا، وَأَرْضٌ أُخْرَى حَوْلَ الْبَحْرِ، وَيَخْرُجُونَ إِلَى تِلْكَ الْأَرْضِ كَذَلِكَ حَتَّى تَتِمَّ سَبْعُ أَرَضِينَ، وَسَبْعَةُ أَبْحُرٍ وَالْأَرْضُ كُلُّهَا عَلَى ظَهْرِ الْحُوتِ، وَاسْمُ الْحُوتِ بَهْمُوتُ»[٢].

وهذه الآثار إنما سقتها لورود لفظ (الحوت) فيها، ولم نستدل بها على شيء غير ذلك وهي أخبار معظمها من الإسرائيليات.

المبحث الرابع: الحوت في الشعر والمثل العربي

وردت كلمة (الحوت) في الشعر، والمثل العربي باللفظ الصريح، وبألفاظ أخرى، وأسوق بعضًا منها على سبيل المثال، لا الحصر:

منها:

أَيَا فَارِجَ الْهَمِّ عَنْ نُوحٍ وَأُسْرَتِهِ ... وَصَاحِبِ الْحُوتِ مَوْلَى كُلِّ مَكْرُوبِ

وَفَالِقَ الْبَحْرِ عَنْ مُوسَى وَشِيعَتِهِ ... وَمُذْهِبَ الْحُزْنِ عَنْ ذِي الْبَيْتِ يَعْقُوبِ

وَجَاعِلَ النَّارِ لِإِبْرَاهِيمَ بَارِدَةً ... وَرَافِعَ السُّقْمِ عَنْ أَوْصَالِ أَيُّوبِ

إِنَّ الْأَطِبَّاءَ لَا يُغْنُونَ عَنْ وَصَبٍ ... أَنْتَ الطَّبِيبُ طَبِيبٌ غَيْرُ مَغْلُوبِ[٣]

ومنها:

كالحُوتِ لا يُلْهيهِ شَيْءٌ يَلْقَمُهْ... يُصْبِحُ ظَمآناً وفي البحر فَمُهْ[٤]

---

(١) هو: وهب بن منبه بن كامل الصنعاني، أبو عبد الله الأبناوي (أخو همام)، مؤرخ كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين لا سيما الإسرائيليات، ثقة يماني تابعي، قال يحيى بن معين: ثقة. وذكره ابن حبان فى كتاب "الثقات". وقال العجلى: يمانى تابعى ثقة (مات سنة١١٤هـ) وقيل غير ذلك. انظر: تاريخ الإسلام (٣/ ٣٣٤)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٤)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٦٦)، الأعلام للزركلي (٨/ ١٢٥).

(٢) رواه ابن أبي الشيخ الأصبهاني في العظمة (٤/ ١٤١١-٤١٢) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: وَجَدْتُ فِي كِتَابِ أَبِي بِخَطِّ يَدِهِ: حَدَّثَنَا غوثُ بْنُ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْهُذَيْلِ عِمْرَانَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: «إِنَّهَا سَبْعَةُ أَبْحُرٍ، وَسَبْعُ أَرَضِينَ، وَالْأَرْضُ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا الْوُسْطَى، وَالْبَحْرُ حَوْلَهَا، وَأَرْضٌ أُخْرَى حَوْلَ الْبَحْرِ، وَيَخْرُجُونَ إِلَيْهَا، وَأَرْضٌ أُخْرَى حَوْلَ الْبَحْرِ، وَيَخْرُجُونَ إِلَى تِلْكَ الْأَرْضِ كَذَلِكَ حَتَّى تَتِمَّ سَبْعُ أَرَضِينَ، وَسَبْعَةُ أَبْحُرٍ، وَالْأَرْضُ كُلُّهَا عَلَى ظَهْرِ الْحُوتِ، وَاسْمُ الْحُوتِ بَهْمُوتُ»، وانظر: أسرار الكون،الهيئة السنية في الهيئة السنية، للسيوطي (ص: ١٠٧)، التبصرة، لابن الجوزي (٢/ ١٧٧)، وهو من الإسرائيليات.

(٣) الأبيات من البسيط، وهي لمحمد بن عامر البلخي، ورواها البيهقي عنه بسنده في شعب الإيمان (١٢/ ٣٦٢، رقم ٩٥٤٢).

(٤) الرجز لرؤبة بن العجاج في ديوانه (ص ١٥٩) ؛ والحيوان (٣/ ١٢٨) ؛ وخزانة الأدب (٤/ ٤٥١، ٤٥٤، ٤٦٠)، حياة الحيوان الكبرى (١/ ٣٧٨)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (٣/ ١٦٧٧)، شرح شواهد المغني (١/ ٣٤٧)، وبلا نسبة في:

وهو مَثَلٌ يُضرب لمن عاش بخيلا شرهًا.

ومنها:

رَأَى مِنْ دُونِها الغَوّاصُ هَوْلاً... هَراكِلَةً وَحِيتانًا ونُونَا[1]

ومنها:

مَا لِي أَرَاكُمْ كُلَّكُمْ سُكُوتَا... واللَّهُ ربِّي خَلَقَ البَهْمُوتَا[2]

ومنها: حُوْتاً تُمَاقِسُ:

(الْمُمَاقَسَة): مُفَاعَلة من المَقْسِ، يقال: مَقَسَه في الماء، ومَقَلَه، وكذلك قَمَسَه، إذا غَطَّه، وهو مَثَلٌ يُضرب للرجل الداهي يُعَارضه مثله، وقيل:

فإن تَكُ سَبَّاحاً فإنِّي لَسَابِحٌ... وإن تَكُ غَوَّاصاً فَحُوتاً تُمَاقِسُ[3]

وقيل:

ومَنْ قامَسَ الحوتَ الملجِّج مرةً... ليقمِسَه فالحوت لا شك قامسه[4]

ومنها:

لَن يَرْجع الشيخ في شَبِيبتِهِ... أو يُنتج الضَّبُّ في الفلا نونا[5]

ومنها:

شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (١/ ٥٣)، شرح التصريح على التوضيح (١/ ٦٠)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (١/ ١٤٤)، الدر الفريد وبيت القصيد (٨/ ٣٩٠). وانظر: المعجم المفصل في شواهد العربية (١٢/ ١١٧)، وفي رواية (شيء يَلْهَمُهُ).

(١) هو هنا يَصِفُ دُرَّةً، وقوله: (هَرَاكِلَةٌ) أي: مَا ضَخُمَ مِنَ السَّمَكِ، وَامْرَأَةٌ هِرْكَوْلَةٌ: إِذَا كَانَتْ عَظِيمَةً، وقيل: الهِرْكَوْلَةُ: الجارِيَةُ الضخمةُ، المُرْتَجَّةُ الأَرداف. والهَرَاكِلَةُ من ماء البحر، حيث تكثُر فيه الأمواج، وقيل: الهراكلة: كلابُ المَاء.

والبيت من الوافر، وهو لابن أحمر الباهلي في لسان العرب (١١/ ٦٩٥) (هركل)؛ تاج العروس (٣١/ ١٢٩) (هركل)؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ١٨٤٩)، تهذيب اللغة (٦/ ٢٦٩)، التكملة والذيل والصلة للصغاني (٥/ ٥٥٤)، ولم أقع عليه في ديوانه (شعر عمرو بن أحمر الباهلي) جمع وتحقيق: حسين عطوان، الناشر: مجمع اللغة العربية بدمشق. وانظر: المعجم المفصل في شواهد العربية (٨/ ٥٤)، غريب الحديث لإبراهيم الحربي (٢/ ٥٦٩).

(٢) الرجز ورد بلا نسبة في: اللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٢٦٢)، تفسير القرطبي (١٨/ ٢٢٤)، تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٥)، روح البيان، لأبي الفداء إسماعيل حقي (١٠/ ١٠١)، حياة الحيوان الكبرى، للدميري (٢/ ٥٠٦)، والبهموت: هو الحوت.

(٣) البيت من الطويل، وورد بلا نسبة في: مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني النيسابوري (١/ ١٩٨، رقم ١٠٤٥)، المستقصى في أمثال العرب، للزمخشري (١/ ٨٩).

(٤) البيت من الطويل، وهو لابن الرومي من قصيدة بعنوان (ليهْنك لبس المهرجان وإن غدا)، انظر: الموسوعة الشعرية، من إصدارات دائرة الثقافة والسياحة، أبو ظبي (https://poetry.dctabudhabi.ae)، واللُّجّ: (مُعظَمُ الماءِ) وخَصَّ بعضُهم بِهِ مُعظَمَ البَحْرِ. و(لُجُّ البَحْرِ): الماءُ الكثيرُ الَّذي لَا يُرَى طَرَفاه، ولُجَّةُ البَحْرِ: حيثُ لَا يُدْرَكُ قَعْرُه، ولَجَّ السَّفِينُ تَلْجِيجاً: خاضَ. والحوت الملجج شبيه بالبحر في سعته وكبر حجمه. انظر: تاج العروس (٦/ ١٨٠-١٨٢).

(٥) البيت بلا نسبة في: الأمثال والحكم، للماوردي (ص: ٢٤٨، رقم (٧٩٠ – ٢٤٩)، والفلاة: القفر من الأرض؛ لأنها فليت عن كل خير، أي: فطمت وعزلت. وقيل: هي الصحراء الواسعة، وجمع الفلاة: فلا. انظر: لسان العرب (١٥/ ١٦٤)، والنون: الحوت.

وَالحَمْدُ وَالبُخْلُ لَمْ يُقْضَ اجْتِمَاعُهُمَا... حَتَّى لَقَدْ خُيِلَ ذَا ضبًّا وَذَا حُوتَا[1]

ومنها:

مَشَى فَدَعَا مِنْ ثِقْلِهِ الحُوتُ رَبَّهُ... وقَالَ: إِلَهِي زِدْتَ فِي الأَرْضِ ثَامِنَهْ[2]

وهو يقال في صفة الإنسان الثقيل، فهو أثقل من دواء بلا علة، وأبغض من خراج بلا غلة؛ قد خرج عن حدِّ الاعتدال، وذهب من ذات اليمين إلى ذات الشمال؛ يحكي ثقل الحديث المُعَاد، ويمشي على القلوب والأكباد؛ إذا نظرت إلى مشيته أنشدت هذا البيت.

ومنها:

تَحْمُلُ مِنْهُ الأرضُ أَضْعَافَ مَا... يَحْمِلُهُ الحُوتُ مِنَ الأَرْضِ[3]

وهذا يقال للإنسان الثقيل، فهو أثقل من الحمل الثقيل؛ لأنَّ ثقله على القلب دون الجوارح، والحمل الثقيل يستعين القلب عليه بالجوارح، فهنا يوضح أنَّ ثِقَلَ الإنسان الثقيل أثقل على الأرض بأضعاف ما يحمله الحوت من الأرض.

ومنها: أَكَلُ مِنْ حُوت:

لبلعه الْأَشْيَاء مِنْ غير مَضْغ، وَإِنَّمَا يسْرع الشِّبَع مَعَ المضغ ويبطىء مَعَ البلع من غير مضغ، فالماضغ يشبعه الْقَلِيل، والبالع لَا يشبعه الْكثير، هَكَذَا سَبِيل المَاء فِي الرشف والعبِّ[4]، قيل: والْحُوت وَجَمِيع السّمك يَأْكُل ولَا يشرب وَإِذا حصل المَاء فِي جَوف شَيْء مِنْهَا قَتله، ويؤيده:

والحوت لَا يرويه شَيْء يَلْهَمُهْ... يُصبح ظَمآن وَفِي الْبَحْر فَمُهْ

وَقد يُقَال: (أروى من حوت) لِأَنَّهُ لَا يشرب الماء؛ ولَا يحْتَاج إِلَى الشّرْب، كَمَا يُقَال: (أروى من ضَب) وَهُوَ لَا يشرب أَبدًا.

وأظمأ من حوت: يَزْعمُونَ أَنه لَا يشرب المَاء أبدًا وَقد ذَكرْنَاهُ، ثمَّ يَقُولُونَ: أروى من حوتٍ، ويعنون أَنه لَا يُفَارق المَاء[5].

---

(1) البيت لأبي محمد الحريري في: مقامات الحريري (ص: ٤٠٣) (المقامة المروية) ، و الدر الفريد وبيت القصيد (٩/ ١٥)، (١٠/ ١١٩)، زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن بن مسعود اليوسي (١/ ٣٣٤).

(2) البيت لأبي عمارة الصوري في الدر الفريد وبيت القصيد (٥/ ٤٦٩)، الإعجاز والإيجاز، لأبي منصور الثعالبي (ص: ١٨٩)، وبلا نسبة في: التمثيل والمحاضرة، للثعالبي (ص: ٢٥٣)، لباب الآداب للثعالبي (ص: ٢٠٠)، زهر الأكم في الأمثال والحكم (٢/ ٧).

(3) الرجز ورد بلا نسبة في التمثيل والمحاضرة (ص: ٢٥٣)، زهر الآداب وثمر الألباب (٢/ ٤٩٠)، وقال الحسن بن مسعود اليوسي في كتابه: زهر الأكم في الأمثال والحكم (٢/ ١٣): وذُكر عند العباس بن الحسن العلوي ثقيل يقال: له أبو عمار، فقال: ما الحمام على الأضرار، وحول الدين على الأقدار، وشدة السقم في الأسفار، بأثقل على النفس من طلعة أبي عمار، ثم أنشد البيت هذا البيت.

(4) (الْعَبُّ) شُرْبُ الْمَاء مِنْ غَيْرِ مَصٍّ كَشُرْبِ الْحَمَامِ وَالدَّوَابِّ. انظر: مختار الصحاح (ص: ١٩٨).

(5) انظر: جمهرة الأمثال، للعسكري (١/ ٢٠٠-٢٠١، رقم ٢٤٨)، (١/ ٤٩٩، رقم ٨٩٨)، (٢/ ٣١، رقم ١١٧٦).

ومنها:

زُرْ وَادِيَ القَصْرِ نِعْمَ القَصْرُ وَالوَادِي... لابدّ مِنْ زَوْرَةٍ عَنْ غَيْرِ مِيعَادِ
تُفى قراقيرُهُ وَالعيسُ واقِفَةٌ... وَالنونُ وَالضَبُّ وَالمِلاحُ وَالحادي[1]

ومنها: جمع بين الضَّبِّ والنُون:

الضَّبُّ: حيوان معروف يُشْبِه الوَرَلَ، وهو عَلَى حَدِّ فَرْخِ التِّمْسَاح الصَّغير، وذَنَبُه كَذَنَبِه، وَهُوَ يَتَلَوَّن أَلْوَاناً نَحْوَ الشَّمْسِ كَمَا تَتَلَوَّن الحِرْبَاءُ، ويَعِيشُ سَبْعَمائَة عَام وَلَا يَشْرَبُ المَاءَ، بل يَكْتَفِي بالنَّسِيمِ، ويَبُولُ فِي كل أَرْبَعِين يَوْماً قَطْرَة، وأَسنانُه قِطْعَةٌ واحِدَة مُعْوَجَّة، وإِذا فَارَق جُحْرَه لم يَعْرِفه، ويَبِيضُ كالطَّيْرِ، وكنيته أَبو حِسْلٍ. والنون: الحوت، وجمعه نينان.

وهذا المثل يُضرب لاستحالة الجمع بين شيئين، لأنَّ الحوت يعيش في الماء لا يُفارقه، والضَّبُّ حيوان بري يُلازم الصحراء، ولا يرد الماء، فلا يجتمعان.

ومن الأمثلة التي جاءت على الألسنة: السمكةَ قالتْ للضَّبِّ: وِرْداً يا ضَبُّ، فقال لها الضَّبُّ: أَصْبَحَ قَلْبي صَرِدَا... لا يَشْتَهِي أنَّ يردا.

ومنها:

ولو أنّهم جاؤوا بشيء مُقَارب... لشيء وبالشّكل المُقَارب للشّكل
ولكنّهم جاؤوا بحيتان لجّة... قَوَامس والمكنيّ فينا أبا حسل[2]

وقيل:

الضَّبُّ وَالنُّونُ قدْ يُرْجَى التِقَاؤُهُمَا... وَلَيْسَ يرجى الْتِقَاءُ اللُّبِّ وَالذَّهَبِ[3]

ومنها:

وما خلت الضبّاب معطّفات... على الحيتان من شبه الحسول[4]

---

(1) البيتان من البسيط، وهما للخليل بن أحمد في: الحيوان، للجاحظ (٦/ ٣٦٦)، الرسائل السياسية، للجاحظ (ص: ١١٦)، عيون الأخبار، لابن قتيبة (١/ ٣١٧)، وبلا نسبة في: ديوان المعاني (٢/ ١٣٨). وهنا يعني أنه يجتمع فيه صيد البر والبحر ، وأهل المال والظهر ، وأهل البدو والحضر. وفي رواية (ترى به السفن كالظلمان واقفة)، (ترقى به السفن)، (ترفا به السفن)، وهذا من أحسن ما قيل في وصف مكان يجمع بين أوصاف البر والبحر والحاضرة والبادية.

والقَرَاقِير: جمع القُرقُورُ، كعُصفُور، وهو: السَّفِينَةُ، الطَّوِيلة، أَو العظِيمةُ، وقيل: والبَارِجَةُ: (سَفِينَةٌ كَبِيرَةٌ)، وجمعُها البَوَارِجُ، وَهِي القَرَاقِيرُ. و(العِيسُ) بِالْكَسْرِ: الْإِبِلُ الْبِيضُ الَّتِي يُخَالِطُ بَيَاضَهَا شَيْءٌ مِنَ الشُّقْرَةِ. انظر: تاج العروس (١٣/ ٤٠١)، (٥/ ٤١٧)، مختار الصحاح (ص: ٢٢٣).

(2) البيتان من الطويل، وهما للكميت في ديوانه (٥٢/٢)، والحيوان، للجاحظ (٣٨٤/٦).

(3) البيت من البسيط، وهو للصابئ في: الدر الفريد وبيت القصيد (٤/ ١١٧). وبلا نسبة في: زهر الأكم في الأمثال والحكم (٢/ ٥٠)، تاج العروس (٣/ ٢٢٧)، وفي رواية (المال والذهب)، (الفضل والذهب).

(4) البيت من الوافر، وهو للكميت في ديوانه (٥٢/٢)، والحيوان، للجاحظ (٣٨٤/٦).

وقال آخر: والعرب تقول في الشّيء الممتنع: لا يكون ذلك حتى يَرِدَ[1] الضبّ، وفي تبعيد ما بين الجنسين: حتّى يؤلّف بين الضّبّ والنّون. أو: «لا يكون ذلك حتى يجمع بين الضب والنون»[2].

ومنها:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي... ورازق هذا الخلق في العسر واليسر؟
تكفل بالأرزاق للخلق كلهم... وللضَبِّ في البيدا وللحوت في البحر[3]

وفيها إشارة إلى ما بين الحوت والضبِّ من التضاد.

ويقال عند التجهيل: فلان لا يُفَرِّق بين الضبِّ والنون.

ومنها:

ترى سفائنه كالعيس سائرة... والضب والنون والملاّح والحادي[4]

ومنها:

لَكَفَّ مِن وَجدي وَلَكِنَّني... أَراكَ بَينَ الضَّبِّ وَالنونِ[5]

ومنها:

فَقالَ هَذا أَوَّلُ الجُنونِ... مَتى ثَوى الضَبُّ بِوادي النونِ[6]

ومنها:

الضبّ وَالنونُ في أَفنائِهِ جُمِعَت... وَالرَكبُ وَالفُلكُ عَن أَعتابِهِ تَقِفُ[7]

ومنها:

وقد لمعَ السرابُ فقلتَ ماءٌ... وجالَ الضبُّ فيه فقلتَ نون[8]

ومنها:

النونُ يَهلِكُ في بَيداءَ مُقفِرَةٍ... وَالضَبُّ يَهلِكُ بَينَ الماءِ وَالطينِ[9]

---

(1) أي: يشرب .

(2) انظر: الحيوان، للجاحظ (٥/ ٢٨٠)، (٣٨٤/٦) .

(3) قيل لحاتم الأصمّ: من أين تأكل؟، فقال من عند الله، فقيل له: الله ينزل لك دنانير ودراهم من السماء؟، فقال: كأنّ ماله إلاّ السماء! يا هذا: الأرض له والسماء له، فإن لم يؤتني رزقي من السماء ساقه لي من الأرض، وأنشد هذه الأبيات. انظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم (٢/ ٥١)، حياة الحيوان الكبرى (٢/ ١٠٧)، السحر الحلال في الحكم والأمثال (ص: ٦٨).

(4) البيت من البسيط، وهو لابن نباتة المصري، من قصيدة بعنوان (أعد لنا السمر الأشهى نجدده)، انظر: الموسوعة الشعرية، من إصدارات دائرة الثقافة والسياحة، أبو ظبي (https://poetry.dctabudhabi.ae).

(5) البيت من السريع، وهو لعلي بن الخليل من قصيدة بعنوان (يا أيها الراغب عن أصله)، المرجع السابق.

(6) الرجز لابن المُعتَز من قصيدة بعنوان (لي صاحب قد لامني وزادا)، المرجع السابق.

(7) البيت من البسيط، وهو للباجي المسعودي من قصيدة بعنوان (لله قصر بديع فوق ما أصف)، المرجع السابق.

(8) البيت من الوافر، وهو للأعمى التطيلي من قصيدة بعنوان (جنابُكَ للعُلا حِصْنٌ حصينُ)، المرجع السابق.

(9) البيت من البسيط، وهو لعروة بن أذينة من قصيدة بعنوان (أفي رُسومِ مَحَلٍّ غَيرَ مَسكونِ)، المرجع السابق.

ومنها:

أَرضٌ بِها سائِرُ الأَهوالِ قَد جُمِعَت... كَمــا تَجَمَّعَ فيها الضَبُّ وَالنونُ[١]

ومنها:

مُوسَى وَمُوسَى فَوْقَهُ التابُوتُ... وَصاحِبَ الحُوتِ وَأَيْنَ الحُوتُ[٢]

ومنها:

تَغَمَّـــدَهُ آذِيٌّ بَحــرٍ فَغَمَّـــهُ... وَأَلقاهُ في في الحوتِ فَالحوتُ آكِلُه[٣]

ومنها:

شوى فِي الْحَرِيق سمكته:

هو مثل يُضْرب فِي التَّدْلِيس وانتهاز الفرصة، ولِمَنْ يَنْتَفِعُ بِمَا يَضُرُّ غَيْره[٤].

ومنها:

أسكت من سمكة:

(السَّمَكَة) وَاحِدَة السّمك، وهي الحوتة، وهو مثل يُضرب للساكت[٥].

ومنها في وصف الطائرة:

كَبِساطِ الريحِ في القُدرَةِ أَو... هُدهُدِ السيرَةِ في صِدقِ البَلاء

أَو كَحــوتٍ يَرتَمي المَوجُ بِهِ... ســابِحٌ بَينَ ظُهورٍ وَخَفـــاء[٦]

ومنها:

أخِي اغترابٍ رمى صَرْفُ الزَّمانِ به... بحيْثُ يُجمعُ بين الضّبِّ والنُّونِ[٧]

ومنها:

منتكَ نفسك أمراً لا تولفهُ... حتى تولفَ بينَ الضبِّ والنونِ[٨]

---

(١) البيت من البسيط، وهو لصَفِيِّ الدينِ الحِلِّي من قصيدة بعنوان (مَن لَم تَرَ الحِلَّةَ الفَيحاءَ مُقلَتُهُ)، المرجع السابق.

(٢) الرجز لرؤبة بن العجاج، وهو من قصيدة بعنوان (يا رَب إِن أَخْطَأْتُ أَوْ نَسِيتُ)، المرجع السابق.

(٣) البيت من الطويل، وهو لجَرير من قصيدة بعنوان (أَلَم تَرَ أَنَّ الجَهلَ أَقصَرَ باطِلُه)، المرجع السابق.

(٤) انظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم (٣/ ٢٤٢)، المعجم الوسيط (١/ ٤٥٠).

(٥) انظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم (٣/ ١٧٣).

(٦) البيتان لأحمد شوقي في ديوانه (٣٩٨/١)، الطبعة الأولى، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان. من قصيدة بعنوان (آية العصر في سماء مصر) يصف بها الطائرة التي قدم بها الفرنسيان فورين، وبونيه سنة ١٩١٤م من باريس إلى مصر. وانظر: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (١/ ٢٤٥)

(٧) انظر: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، لأحمد بن الأمين الشنقيطي (ص: ٢٧٤).

(٨) البيت لعروة بن أذينة، في: منتهى الطلب من أشعار العرب (ص: ٨٧).

وهذه بعض الأبيات والأمثلة قد أوردناها على سبيل المثال لا الحصر، وإلا فالمقام لا يتسع لذكر كل ما ورد عن الحوت في الشعر والمثل العربي.

المبحث الخامس: العبر والدروس من هذه القصص

لقد تبوَّأت القصص مساحةً واسعة في آيات الذِّكْر الحكيم؛ كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، وذلك لأنَّ النفوس تشتاق إليها، وتأخذ منها العبر والدروس.

ومن القصص التي مَرَّت معنا خلال هذا البحث: قصة الحوت مع يونس عليه السلام، وقصة الحوت مع موسى عليه السلام، قصة الحوت مع أصحاب السبت، وهذه بعض العبر والدروس المُستفادة منها، ومن خلال ما سقناه في هذا البحث ا تضح لنا أنَّ الحيتان تُقَدِّر منزلة العالم، لذا فهي تستغفر له، وتعرف فضله ومنزلته في تعليم الناس الخير.

- ومن العبر والدروس المُستفادة من قصة يونس عليه السلام[3]:

١) عبودية الحوت لله تعالى، وامتثاله لأوامره، وعدم إيذائه لنبي الله يونس عليه السلام، حيث لم يخدش له لحمًا، ولم يكسر له عظمًا، التقمه وآواه، ونبذه بالعراء امتثالاً لأمر الله.

٢) أهمية الحوت في هذه القصة، حتى سمي يونس عليه السلام بـ(ذي النون) و(صاحب الحوت).

٣) الأحكام الشرعية المُتعلقة بالحيتان ذُكرت في أغلب كتب الفقه.

٤) ألا ييأس الداعي إلى الله تعالى من بطء استجابة الناس، ولا يستعجل في هجرهم ففي هذه القصة رسالة لكل داعية ومصلح وأب ألا يضيق من دعوة الناس وتوجيههم وتربيتهم، فمع الصدق والصبر يفتح الله تعالى الأبواب المغلقة.

٥) مشروعية الاقتراع (الاستهام) في التفضيل بين الأمور.

٦) أهمية كلمة التوحيد، والاعتراف بالذنب والتقصير، في النجاة من الغمِّ والهمِّ وما يلقاه الإنسان من صعوبات في الحياة، لذلك كان سيد الاستغفار كما جاء في

---

(1) سورة يوسف، الآية: ٣.

(2) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(3) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٦٠٩-١٦١١)، أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٤٣٦-٤٣٨)، التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٦/ ١١٤٨-١١٤٩)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٩/ ٢٤٣-٢٤٥)، تفسير المراغي (١٧/ ٦٣-٦٤).

الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»، قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِه قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[1]. فهذا دعاء عظيم، جمع بين الاعتراف بربوبية الله تعالى، وتوحيده، والإقرار بأنَّه خلق العبد وأنعم عليه، وخضوع العبد وذلته وانكساره واعترافه بذنبه، فهو يشبه دعاء يونس عيه السلام في بطن الحوت، وقوله: (سيد الاستغفار): (السيد) في الأصل الرئيس الذي يُقصد في الحوائج، ويُرجع إليه في الأمور، وسيد القوم أفضلهم، ولمَّا كان هذا الدعاء جامعًا لمعاني التوبة كلها استعير له هذا الاسم، لاسيما وقد ذكر الله تعالى فيه بأكمل الأوصاف، وذكر العبد بأضعف الحالات، وهذا أقصى غاية التضرع ونهاية الاستكانة والخضوع لمن لا يستحق ذلك إلا هو سبحانه، (على عهدك ووعدك) ثابت ومستمر على الوفاء بما عاهدتك عليه ووعدتك بالقيام به من صدق الإيمان بك، وحسن التوكل عليك، وصالح الطاعة لك. (ما استطعت) قدر استطاعتي. (أعوذ) استجير وألتجئ. (أبوء) أقر وأعترف. فمن قالها(موقنًا) مُخلصًا من قلبه مُصَدِّقًا بعظيم ثوابها فهو (من أهل الجنة) السابقين لأنَّ الغالب بمن قالها موقنًا بمضمونها أنه لا يعصي الله تعالى، أو لأنَّ الله تعالى يشمله بعفوه ببركة هذا الاستغفار، والاعتراف بالذنب والتقصير في حقِّ الله تعالى[2].

٧) أهمية أن يكون الإنسان ذاكرًا لله تعالى في وقت الرخاء، فإنَّ الأعمال الصالحات في أيام الرَّخاء تُرافِق العبدَ في شدته، وتكون سببًا بعون الله في إزالة كربته، ورفْع محنته.

٨) أنَّ الله تعالى هو الذي يُنَفِّسُ كَرْبَ المكروبين، ويُفَرِّجُ هَمَّ المهمومين، ولا يتخلى عن عباده الصالحين الذاكرين في وقت الشدة، فهو سبحانه الذي يجيب المضطر إذا دعاه.

([1]) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٧، ح ٦٣٠٦)، (٨/ ٧١، ح ٦٣٢٣). وانظر تعليق المحقق على هذ الحديث.

([2]) المرجع السابق بتصرف يسير.

٩) أهمية دعاء يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١]، فإنه لم يَدْعُ بها رجل مسلِم في شيء قط إلا استجاب الله له كما سبق وأشرنا إلى ذلك.

١٠) أنّ الإيمان مخرجٌ من الفتن، وسبب للنجاة منَ البلاء والمحن؛ فقد نجَّى الله عبدَه يونسَ منْ كُرباته، ثم وَعَدَ فقال: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، وحين آمن قوم يونس، كان ذلك الإيمان دافعًا عنهم سوءَ العذاب المنتظر ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[٣].

١١) أنَّ الصبر على البلاء يزيد العبد رفعة عند ربه، ومقدارًا بين خلقه، فقد رفع الله تعالى ذكر يونس عليه السلام، فقد آمن به قومه، وقصته تُتلى في كتاب الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

١٢) في هذه القصة دليل على القاعدة الأصولية المشهورة وهي: (ارتكاب أخف الضررين)، فإلقاء يونس عليه السلام في الماء، وإن كان فيه ضرر مُتحقق، إلا أنَّ فيه دفعًا لضرر أكبر وهو هلاك كل مَنْ في السفينة.

- العبر والدروس المستفادة من قصة موسى عليه السلام:

وبعد أنْ كان الحوت سجنًا وابتلاءً وظلمة ليونس عليه السلام، فهو هنا غداءً وآية وعلامة لموسى عليه السلام وغلامه، ويستفاد من هذه القصة:

١) وفائدة الحوت هنا في هذه القصة أنَّه كان طعامًا لموسى على السلام في رحلته في طلب العلم، كما في بعض روايات الْحَدِيث السابق «أَنَّهَا كَانَتْ سَمَكَةً فِي مِكْتَلٍ». وَمَا ظَنُّكَ بِزَوَّادَةِ اثْنَيْنِ خُصُوصًا مُوسَى وَصَاحِبَهُ؟! [٤].

٢) واعلم أن موسى عليه السلام، جَدَّ في طلب الخضر حتى وجده، وكذلك يُستحب لكل طالب فائدة دينية أن يكون كَرَّارًا غير فَرَّارٍ، وقد مشى موسى عليه السلام لمناجاة ربه تعالى أربعين يومًا لم يحتج إلى طعام، ومشى إلى الخضر عليه السلام حتى أصابه النصب ولحقه الجوع، فطالب العلم ينبغي أن يحتمل كل مشقة، ولا يبالي بصيف ولا شتاء ولا جوع ولا ذل، إذ الذي يُطلب لا يعرف قيمته إلا صاحبه،

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٨.

(٤) انظر: مختار الصحاح (ص: ٨٣)، مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٢٥٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٢٤٧).

ومَنْ عرف قَدْر ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومَنْ طَلَب العظيم خاطر بالعظيم[١].

٣) أنَّ الإنسان لن يبلغ من العلم مُنتهاه، ومهما تعلم فهناك مَنْ هو أعلم منه، وفوق كل ذي علم عليم

٤) أنَّ هناك مِنْ عباد الله تعالى مَنْ اختصهم بعلم مِنْ لَدنه كما هو الحال مع الخضر فقد قال تعالى: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) [٢].

٥) والحكمة في جمع موسى مع الخضر عليهما السلام بمجمع البحرين أنهما بحران في العلم أحدهما أعلم بالظاهر، وأعني بالظاهر علم الشرع وهو موسى والآخر أعلم بالباطن أعني بالباطن: علم الحقيقة وأسرار الملكوت وهو الخضر[٣].

٦) ضرورة التزود بما يكفي الإنسان من الطعام والشراب في الرحلة في طلب العلم.

٧) اعلم أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يجد مَنْ هو دونه –وهو الخضر– حتى تجرد عن كل ما سواه، فكذلك العبد لا يجد قرب مولاه وحبه حتى يتجرد عن كل ما سواه.

٨) أنْ لا يتعالى الإنسان في طلب العلم، بل يأخذ العلم عمن هو أعلى منه، وعمن هو دونه، وعمن يساويه.

٩) جواز الاشتراط في الصحبة وطلب العلم وغيرهما للمصلحة الراجحة.

١٠) جواز ركوب السفن في البحر.

١١) مشروعية إنكار المنكر على من علم أنه منكر.

١٢) رفع الحرج عن الناس.

١٣) مشروعية القصاص وهو النفس بالنفس[٤].

- العبر والدروس المستفادة من قصة أصحاب السبت[٥]:

١) أنْ يتعلم الناس ضرورة البحث عن مصدر آخر للطعام، فالمفترض هو تنويع الأعمال، ترك العمل الكاسد لعمل أخر يأتى بفائدة، فلو أنَّ أصحاب السبت فعلوا

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٢٩)، حياة الحيوان الكبرى (١/ ٣٨١).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

(٣) انظر: حياة الحيوان الكبرى (١/ ٣٨١).

(٤) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٢٧٥).

(٥) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٢٥٣–٢٥٦)، تفسير المراغي (٩/ ٩٢)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٥/ ٤٠٧)، التفسير الوسيط – مجمع البحوث (٣/ ١٥٣٤).

ذلك لنجوا من عذاب الله تعالى.

٢) تقرير الوحي والنبوة لرسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ مثل هذا القصص الذي يذكر لبني إسرائيل لن يتم إلا عن طريق الوحي، وإلا فكيف علمه وذكر به اليهود أصحابه وأهله، وقد مضى عليه زمن طويل.

٣) في هذه القصة تذكير لليهود بما فعله آباؤهم من معصية لله تعالى، وأنه سبحانه وتعالى عاقبهم بأنْ مسخهم قردةً خاسئين، وفي هذا ردٌّ على مَنْ ادعى أنهم شعب الله المختار.

٤) أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد نجى الله تعالى في هذه القصة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وعاقب العصاة الذين لم يأتمروا بأمر الله تعالى، وعاقب الذين سكتوا عن قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥) إذا أنعم الله على أمة نعمة ثم أعرضت عن شكرها تعرضت للبلاء أولاً ثم العذاب ثانياً.

٦) إطلاق لفظ السوء على المعصية مؤذن بأن المعصية مهما كانت صغيرة تحدث السوء في نفس فاعلها.

٧) عبودية الحيتان لله تعالى، وامتثالها لأمره، حيث أنها كانت تأتيهم في يوم السبت شُرعًا، وفي الأيام الأخرى لا تأتيهم.

٨) فضل القرآن الكريم على كتب السابقين، فلقد فَصَل بين الكتب المختلفة، وأظهر المخفي منها، وصَوَّبه وصححه ونقاه، وتحدى بذكرها في كتبهم وعبَّر عن ذلك بقوله: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ... وَاسْأَلْهُمْ)، أي أن هذا المثل فيه تقريبًا كل صور هيمنة القرآن الكريم على كتب السابقين.

٩) غفلة هؤلاء الذين يتحايلون على أوامر الله تعالى ونواهيه، كي يفعلوا ما يوافق هواهم، دون النظر عما إذا كان حلالاً أو حرامًا، فيستحلون ما حرم الله تعالى، ويحسبون أنهم على الحق، أو أنَّ الله سبحانه وتعالى غافل عما يعملون، وفي الحقيقة أنهم لا يخدعون إلا أنفسهم.

الخاتمة

أخي القارئ الكريم.. وبعد أن عشنا مع (الحوت في القرآن الكريم)، ورأينا أنه كان سجناً وابتلاءً، وظُلْمَة من ظلمات يونس عليه السلام، وكان آية وغداءً لنبي الله موسى عليه السلام، وكان ابتلاءً لأصحاب السبت، ورأينا عبادته لله تعالى، أردتُ التنبيه على أنه ينبغي على الإنسان أنْ ينظر في الكون حوله، ويرى عجائب مخلوقات الله تعالى وصُنعه، وأنَّ هذه المخلوقات لم تُخلق عبثًا (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ)[1]، وكلها تعبد الله تعالى وتسبحه، إلا ما كان من الجنِّ وعصاة بني آدم، وينبغي أنْ نُشفق عليها، وننظر إليها بعين الرأفة والرحمة، لأنَّ الله تعالى (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)[2]، وبعض هذه المخلوقات في عبادتها لله تعالى وانقيادها وطاعتها أفضلُ منْ كثير بني آدم الذين انصرفوا عن العبودية الحقة لله تعالى، وانشغلوا بملذات الدنيا وشهواتها، رغم أنَّ الله تعالى أنْعَم عليهم بنعمٍ كثيرة لا تُعدُّ ولا تُحصى (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)[3]، ومع ذلك فقد كان الإنسان أقلَّ عبودية لله تعالى، وأكثر معصية له وجحودًا، وكفَر به وجعل له ولدًا وشريكًا، فكان ردَّ فعل هذه الكائنات عظيمًا (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا)[4]، ولذلك نعى الله تعالى على مَنْ جحد وكفر به سبحانه فقال: (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) [5]، فلعل في هذا البحث والدروس والعبر عودة لمن لا يزال على مقربة من الجادة، وتتازعه نفسه بين الإيمان والإلحاد (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[6].

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

(1) سورة الدخان، الآية: ٣٨.

(2) سورة طه، الآية: ٥٠.

(3) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

(4) سورة مريم، الآيات: ٨٨-٩١.

(5) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

(6) سورة ق، الآية: ٣٧.